الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط الموسومة بـ

الدولة الحمادية (408هـ547هـ/1115م- 1156م) من خلال كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون

إعداد الطالبتين:

- شقلالة كريمة
- شيهب نصيرة

الأستاذ المشرفة:

أ. سموم لطيفة

لجنة المناقشة:

الأعضاء	الصفة
أ. شرقي نوارة	رئيسا
أ. سموم لطيفة	مشرفا ومقررا
أ. تريكي فتيحة	مناقشا

السنة الجامعية: 1441هـ – 1442هـ/ 2020م– 2021م

شكر وتقدير

الحمد لله على توفيقه لنا في إخراج هذا العمل إلى النور.

كما يسعدنا ويشرفنا بتقديم كل الشكر والامتنان والتقدير إلى الأستاذة الفاضلة "سموم لطيفة" التي لم تبخل علينا بنصائحها، وتوجيهاتها وانتقاداتها القيّمة والتي أمدتنا بكل الدعم لإنجاز هذا العمل.

إلى كل أساتذتنا الأفاضل من لطور الابتدائي إلى الماستر.

إلى كل طلبة وطالبات الدفعة الثانية، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط 2020-2021.

إلى كل من قدم لنا العون من قريب أو بعيد لكم منا فائق التقدير والاحترام

اهداء

أهدي ثمرة جهدي...إلى كل من كان سبب وجودي في هذه الحياة إلى من عظم شأنهما ورفع قدرهما والديا حيث قال تعالى :﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يبَ ْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ف لَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾ صدق الله العظيم.

إلى أعظم امرأة أعزها إلى قلبي...إلى من سارت بي إلى بر الأمان، إلى منبع العطف والحنان ورمز العطاء والإحسان...إلى من حملتني وهنا على وهن...إلى التي غمرتني بحنانها وأعطتني زهرة شبابها...إلى أغلى الناس" فاطيمة "حفظها الله.

إلى الذي علمني أن العمل صلاح واليحاة كفاح، إلى من أفنى حياته في العمل لأجل سعادتي وسعادة إخوتي، إلى أبي" يوسف "حفظه الله."

إلى إخوتي" ناصر، لخضر "اللذان أتمنا لهما التوفيق والسداد في حياتهما.

إلى أختي" بشرى "وزوجها متنمية من الله أن يرزقهما الذرية الصالحة.

إلى أخواتي" سارة، جمعة "اللتان أتمنا لهما النجاح في مسارهما الداسي ويحفظهما لي دائما.

إلى" نورية "التي شاركتني الحياة الجامعية طيلة خمس سنوات.

إلى رمز الحب والصداقة...إلى من قاسمتن عناء البحث" كريمة "وإلى كل عائلتها.

نصيرة

اهداء

إلى أغلى من في الوجود...إلى الذي علمني أن العلم أساس الحياة وأن الطموح في طلبه هو نصف النجاح...إلى أبي الذي جدّ واجتهد وسهر من أجل أن أبلغ أعلى المراتب.

إلى نبع الحنان، والدتي الغالية– حفظها الله-

إلى أمي الثانية التي سهرت وتعبت لأجلي" مباركة ..."حفظها اله وأطال في عمرها.

كما أخص بإهدائي إلى كل إخوتي وأخواتي من عائلتي الكريمتين :عائلة" شقلالة :"تريكي فتحي سامية، وفتيحة، وخديجة وتركية ورزيقة.

وعائلة الثانية " ساسي :"منصور جمال الدين، ياسين، صلاح الدين،حليمة .حفظهم الله وأسعدهم

إلى كل أخواتي وأعمامي وكل أقاربي

إلى رمز الصداقة والوفاء" نصيرة "التي قاسمتني عناء هذا البحث وإلى كل عائلتها.

إلى منيرة شعلة حياتي ورفيقتي الغالية والتي شاركتني الحياة الجامعية طيلة خمس سنوات" نورية"

إلى كل من قرأ عملي هذا أو ساهم فيه من قريب أو من بعيد.

كريمة

قائمة المختصرات:

المختصر	الكلمة
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ
ج	جزء
ط	طبعة
مج	مجلد
تح	تحقيق
تع	تعليق
تر	ترجمة
م	ميلادي
هـ	هجري
تق	تقديم
تقر	تقرير
إش	إشراف
ع	عدد

مقدمة

شهد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة تأسيس دويلات مستقلة بنفسها كغيره من مناطق العالم الإسلامي، مما ساهم في بلورة الإنجازات السياسية والحضارية له .

دولة بني حماد هي أول دولة بربرية مستقلة شهدت تطورا حضاريا بل إنها تعتبر محطة بارزة في تاريخ المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا، إذ شغلت دراسة هذه الدولة العديد من المفكرين والمؤرخين، أمثال عبد الرحمن بن خلدون في كتابه "العبر" و"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ومن هذا المنطق تتضح لنا أهمية الموضوع كونه يسلط الضوء على تاريخ الدولة الحمادية خاصة الجانبين السياسي والإداري.

وإن اختيارنا للموضوع تقف ورائه جملة من الاعتبارات أهمها:

- محاولة إثراء الرصيد المعرفي في المجال التاريخي خاصة تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.
- الرغبة في التعريف بكتاب "العبر" لابن خلدون وتوضيح قيمته التاريخية.
- إبراز المعالم السياسية والحضارية للدولة الحمادية.

وعليه نطرح الإشكالية التالية:

- كيف تناول ابن خلدون تاريخ الدولة الحمادية وما هي أهم الجوانب التي تطرق إليها في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"؟ وما الذي أضافه على غرار المصادر الأخرى؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات:

- كيف تمكن ملوك بني حماد من تأسيس دولة مستقلة خاصة بهم؟
- ما هي الجوانب الحضارية للدولة الحمادية؟

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي الذي يتلاءم مع طبيعة هذه الدراسة.

وقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات كان من أهمها:

- ندرة المادة العلمية الخاصة بالدولة الحمادية.
- لم يكن بوسعنا الحصول على المراجع الأجنبية.

وقد حظي موضوعنا بدراسة سابقة قام بها رشيد بورويبة بعنوان "الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها"، ويضاف إليها دراسة عبد الحليم عويس بعنوان" دولة بني حماد"، بحيث قدم كل منهما صورة كاملة لدولة بني حماد، بالإضافة إلى دراسة الجيش في العهد الحمادي (405-547هـ/1014-1152م)، وهي رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط بجامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ من إعداد الطالب موسى هيصام لسنة الجامعية 2000-2001م.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع والتي سنذكر أهمها:

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن ابن خلدون المتوفي سنة 808هـ، والذي كان محور دراستنا، حيث يعتبر هذا المصدر ذا أهمية بالنسبة للمغرب الأوسط، إذ تعرض الجزء السادس من هذا الكتاب إلى أهم الأحداث السياسية التي شهدتها دولة بني حماد، ولقد أفادنا هذا المصدر بمعلومات وفيرة خاصة في الفصل الأول من البحث.
- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول من القرن السادس هجري، يعتبر الكتاب مصدرا هاما، فهو يورد معلومات قيمة عن مدن تاريخيا وأثريا، حيث أفادنا في كامل أجزاء البحث.
- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لمؤلفه أبي عباس أحمد بن محمد المعروف بابن عذارى، يعتبر من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي نظرا لما يتضمنه من معلومات ذات قيمة تاريخية كبيرة، خاصة الجزء الأول منه الذي يتناول تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع الهجري، وقد أفادنا هذا الأخير كثيرا خاصة في الجزء الأول من البحث.

- كتاب دولة بني حماد لعبد الحليم عويس، ويقدم هذا المرجع صورة كاملة لدولة بني حماد، ويتناول تاريخ الدولة بالتحليل والنقد والدراسة، وقد أفادنا في أهم المراحل التي مرت بها الدولة الحمادية.
- كتاب الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها لرشيد بورويبة وآخرون، والذي يعالج تاريخ دولة بني حماد وقد أفادنا في جميع أجزاء البحث.
- كتاب دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية لإسماعيل العربي يقدم هذا المرجع دراسة كاملة وشاملة لدولة بني حماد والذي أفادنا في التعرف على ملوك بني حماد.

ولقد قسمنا بحثنا إلى مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة، أما مقدمة فقد جاءت كتمهيد للموضوع، تمحور الفصل التمهيدي تحت عنوان العلامة ابن خلدون وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر والذي تطرقنا فيه إلى أهم جوانب حياة ابن خلدون من مولده إلى وفاته، ,إبراز القيمة العلمية والتاريخية لكتابة "العبر".

أما الفصل الأول كان تحت عنوان الحياة السياسية والدينية للدولة الحمادية، تحدثنا فيه عن الدور السياسي لأمراء بني حماد ونظامهم الإداري كما تطرقنا إلى العلاقات الخارجية والحياة الدينية للدولة الحمادية، وفي آخر هذا الفصل تحدثنا عن الواقع المذهبي وسقوط الدولة الحمادية.

وخصص الفصل الثاني للحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدولة الحمادية والذي تضمن دراسة الجانب الاجتماعي والنشاط الزراعي والصناعي وأهم الطرق التجارية للدولة الحمادية، بالإضافة إلى الحياة الفكرية والمنشآت العمرانية.

وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة كحوصلة للموضوع، إذ شملت أهم ما توصلنا إليه من استنتاجات خلال العمل، بالإضافة إلى ملاحق وفهارس.

الفصل التمهيدي

العلامة ابن خلدون وكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان

المبحث الأول: التعريف بالعلامة ابن خلدون

المبحث الثاني: التعريف بكتاب –العبر- وقيمته العلمية والتاريخية

تمهيد:

ظهر العلامة عبد الرحمن بن خلدون في عصر كانت فيه الحضارة الإسلامية ما زالت فيه قادرة على العطاء والإضافة للإنجازات الإنسانية، رغم أنها كانت في مرحلة مملوءة بالتناقض والمشحونة بالصراعات، وهذا ما نلمس أثره بشكل واضح في سيرة ابن خلدون وإنجازه العلمي.

ولهذا سنحاول إلقاء الضوء على أهم الجوانب في حياة ابن خلدون وإبراز القيمة العلمية لكتابه العبر في هذا الفصل.

المبحث الأول: التعريف بالعلامة ابن خلدون

أولا: نسبه ونشأته

هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون[1]، ولد في تونس بغرة رمضان عام 732هـ الموافق لـ 27 ماي 1332م[2]، كان يضيف صفة الحضرمي إلى اسمه لأن أسرته ترجع إلى حضرموت من عرب اليمن.

لقب "بأبي زيد" من اسم ابنه الأكبر، على ما جرت عليه عادة العرب في الكنية، كما لقب "بوليّ الدين" بعد تولى وظيفة القضاء في مصر، كما اشتهر بابن خلدون نسبة إلى جده التاسع "خالد بن عثمان" الذي كان أول من دخل بلاد الأندلس مع الفاتحين العرب، وكان أهل الأندلس يزيدون واوا ونونا إلى الأعلام للتعظيم وبيان رفعتهم[3].

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لبنان، د ط، 1979م، ص 30.

[2]– حسن عبد الله نبيلة، ابن خلدون وتراثه التربوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1984م، ص 40.

[3]– حسن عاصي، أعلام المؤرخين العرب والمسلمين، ابن خلدون مؤرخا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م، ص ص 07–08.

تقلد أجداده في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة، وكانوا أهل جاه ونفوذ، نزح أهله من الأندلس إلى تونس وذلك بعد سقوط دولة الموحدين[1]، وتأسيس دولة الحفصيين في إفريقية.

نشأ في بيت علم وسياسة، وتوارثت أسرته الأشغال بالقضاء، كل هذا أثر على حياة العلامة حتى أصبح من أعلام زمانه، فقد ابن خلدون والده وأكثر مشايخه في سن السابعة عشر من عمره إثر اجتياح الطاعون لتونس سنة 740هـ/1349م[2].

ثانيا: تعليمه وتكوينه:

شكّل منزل آل خلدون حلقة أدبية حقيقية ترتادها ألمع الأسماء في دنيا الأدب والدين، وكانت تونس آنذاك مستقر العلماء والأدباء في المغرب[3]، ولعل هذا ما جعل العلامة ابن خلدون يبرز في علوم شتى، وينهل من مشارب العلم.

لقد بدأ صاحب كتاب "العبر" دراسته في البيت على يد والده الذي عمل على تحفيظه القرآن الكريم، ولقد وجهه منذ طفولته إلى طلب العلم، إذ بدأ الدراسة بجامع الزيتونة بتونس، فقرأ القرآن وجوده بالقراءات السبع[4]، ودرس العلوم الشرعية، ثم انتقل إلى دراسة العلوم اللسانية من نحو وصرف ولغة وبلاغة وأدب، ثم انتقل إلى دراسة العلوم العقلية بعد الغزو المريني لتونس سنة 1347م الذي أتاح له الدراسة على يد مشايخ، فدرس على يدهم المنطق والفلسفة والعلوم الرياضية والطبيعية والفلك[5].

عرف عن ابن خلدون وفائه لمشايخه، فحرص على ذكر أسماء كل من ساهموا في تعليمه، فبين مكانة كل واحد منهم[6]، ويمكن أن نقسم مشايخه إلى صنفين:

---

[1]–حسن عاصي، المرجع السابق، ص 10.

[2]– ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 28.

[3]– حسن عاصي، المرجع السابق، ص 16.

[4]– المرجع نفسه، ص 17.

[5]– نفسه، ص 17.

[6]– حسن الساعاتي، ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، دار السلام، بيروت، لبنان، د ط، 2004م، ص 32.

أ– مشايخ العلوم النقلية:

كان من أبرزهم أبو "عبد الله محمد بن بارال" الذي حفظ على يده القرآن وكذلك "عبد الله محمد الحضائري"، و"عبد الله محمد بن الشواش" اللذان تعلما على يدهما اللغة العربية وعلوم النحو واللسان، ودرس الحديث على يد الشيخ "شمس الدين أبي عبد الله بن جابر"، وأخذ الفقه على يد أبي عبد الله محمد الجياني"، ومن أكثر المشايخ العلوم النقلية الذين كان لهم أثر في ثقافة ابن خلدون هو محمد بن عبد المهيمن الحضري، وهو إمام المحدثين بالمغرب، وقد تعلم منه الحديث والسيرة وعلوم اللغة[1].

ب–مشايخ العلوم العقلية:

كان من أبرزهم أبو عبد الله محمد الآبلي[2]، والذي أخذ منه العلوم العقلية التي تشمل المنطق والعلوم الرياضية والطبيعية والموسيقى والفلسفة والفلك، ولقد لازمه ابن خلدون ثلاث سنوات[3].

فأقل ما يمكن قوله عن ابن خلدون أنه كان عالما موسوعيا، يحركه شغفه بتحصيل العلم والمعرفة.

ثالثا: تدرجه في المناصب:

شغل ابن خلدون أول وظيفة لدى السلطان الحفصي أبو إسحاق[4]، وهو في سن

---

[1]– حسن عاصي، المرجع السابق، ص 17.

[2]– أبو عبد الله محمد الآبلي (681هـ757هـ1249م–1325م) بتلمسان، عالم منطقي ورياضي، عاش في القرن الثامن الهجري وأسرته من آبلة الأندلسية، نحزت إلى تلمسان، حيث أصبح والده من مساعدي الأمير يغمراسن، مؤسس الدولة الزيانية. ينظر: حمادي الساحلي، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ج1، ص 102.

[3]– حسن عاصي، المرجع السباق، ص 17.

[4]– **أبو إسحاق:** هو أبو إسحاق إبراهيم الحفصي ولد سنة 631هـ لموافق لـ 1233م، كان يبلغ عند توليه الخلافة الحفصية حوالي ست وأربعين سنة، وقد أثبت ما كان يتحلى به من شجاعة عندما قاوم النصارى في الأندلس. ينظر: حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص 107.

العشرين، وكانت وظيفة كتابة العلامة[1]،ثم سافر إلى بلاد المغرب الأقصى الذي كان تحت سيطرة الدولة المرينية التي يحكمها أبو عثمان المريني[2]، ونظرا للمدن المغاربية التي كانت تشهد إقبال علماء الأندلس اتجه العلامة إلى المغرب الأقصى فقربه حاكم الدولة المرينية منه وضمه إلى مجلس علمائه، فتولى وظيفة الكتابة والتوقيع[3].

هذا ولم تكن الوظيفة التي تولاها ابن خلدون لدى الحاكم أبو عثمان المريني لترضى مطامحه السياسية الكبيرة، فلم تكن على حد قوله في درجة المناصب التي شغلها أسلافه، ونتيجة لاهتمامه للتآمر مع أمير بجاية ضد أبو عثمان، أدخل السجن لمدة عامين وأطلق سراحه بعد وفاة أبو عثمان المريني.

وتواصلت أسفار ابن خلدون شغل خلالها مناصب سياسية وديوانية وقضائية، عاد خلالها إلى فاس، عام 311هـ/1212م، واستقبله عبد العزيز المريني[4]، لكنه لم يستقر في فاس، وتوجه إلى الأندلس، فأقام مشمولا بعناية ورعاية ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب، ولحقه هناك من شرور السعايا، فعزم على مغادرة الديار الأندلسية، وتوجه إلى بجاية بحيث تولى الحجابة إلا أن بجاية الحفصية زالت فبقي ابن خلدون يتنقل من خدمة أمير إلى آخر.

ثم انتقل إلى المغرب ثم الأندلس ولكن الجو السياسي لم يلائمه، فأثنى راجعا وقرر العزلة عند قلعة بني عريف[5]، حيث مكث أربع سنوات، كتب أثناءها كتاب العبر في قلعة

---

[1]– **وضع العلامة:** هي وضع الحمد لله والشكر لله بالقلم الغليظ، مما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم. ينظر: ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 55.

[2]– **أبو عثمان المريني:** هو عثمان أبو أحمد بن أبي سالم يكنى أبا سعيد، هو سلطان مغربي من بني مرين، بويع وسنه ست عشرة سنة، وتعتبر فترة حكمه بداية تدهور الدولة المرينية وسقوطها. ينظر: خير الدين الزركلي، قاموس الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 2002م، ج2، ص 237.

[3]– الطيب بن إبراهيم، ملك بن نبي وابن خلدون، دار المدني، الجزائر، د ط، 2002م، ص 17.

[4]–علي عبد الواحد الوافي، عبقريات ابن خلدون، شركة مكتبات عقاض للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 1984م، ص 45.

[5]– **قلعة بني عريف:** تقع قرب مدينة فرندة بتيهرت وتنتسب إلى أبي بكر ابن عريف. ينظر: انب خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 31.

بني سلامة[1]، ثم اتجه إلى تونس فاستقبله السلطان الحفصي، ثم انتقل بعدها إلى مصر بعد استئذان السلطان فكان نزوله بها أول مرة، فاستوطن بالقاهرة واشتغل وظيفة مدرس بالجامع الأزهر، ثم ولاه السلطان منصب قاضي قضاة المالكية سنة 786هـ1493م، ومات وهو قاضي في 25 شهر رمضان سنة 808هـ الموافق لـ يوم الخميس 16 مارس 1406م، ودفن بالمقابر الصوفية خارج باب "النصر" بمصر، وله من العمر 76 سنة[2].

رابعا: أهم مؤلفاته:

كان ابن خلدون شابا لم يتجاوز العشرين، في أوج طموحه السياسي وما يحيط به من مكائد ودسائس، وما تحيكه القصور من حولها، كل هذا لم يمنع ابن خلدون من البدء مبكرا في التأليف والتدوين وهو ما زال شابا، وكأن طلب العلم والتأليف والتعليم فطرة عند ابن خلدون، ولم يتخل عنها، ولم يشغله[3] عنها شاغلا، هذا ما جعله يترك لنا آثار علمية مختلفة نذكر منها:

أ- كتاب العبر:

إن هذا الكتاب الأول الذي يعرض فيه ابن خلدون نظرياته في تاريخ والاجتماع، والذي يشغل وحده مجلد كبير، ليس إلا مقدمة لمؤلفه التاريخي العام وسمى ابن خلدون مؤلفه التاريخي "كتاب العبر" وديوان "المبتدأ والخبر" في أيام العرب والمعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر[4].

---

[1]– **بني سلامة:** تقع قلعة بني سلامة والمعروفة بتاغزوت على بعد كليومترات على مدينة فرندة بالغرب الجزائري وهي القلعة التي ألف فيها ابن خلدون مدونته الشهيرة "العبر" فيصفها قائلا أنها من أحفل المساكن وأوثقها. ينظر: المصدر نفسه، ص 38.

[2]– علي عبد الواحد الوافي، المرجع السابق، ص 112.

[3]– غماري أمال، عمرون فتيحة، البعد الحضاري في فكر ابن خلدون، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، الجزائر، 2013–2014م، ص 27.

[4]– محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، د ت، ص 129.

ب–الباب المحصل في أصول الدين:

هو تلخيص لكتاب فخر الدين الرازي المعروف بابن الخطيب المتمثل في "محص أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين". وقد اشتهر هذا الكتاب في المشرق والمغرب على السواء فتداوله العلماء المشتغلون بأصول الدين. وقد فرغ ابن خلدون من تأليف كتاب "الباب المحصل في التاسع والعشرين من شهر صفر سنة 752هت/1351م، حيث كان عمره عند تأليفه تسعة عشر سنة وهو من أوائل مؤلفاته[1].

ج– شفاء السائل في تذهيب المسائل:

وهو كتاب خاص بالكلام عن التصوف، حيث عالج فيه مختلف قضاياه، ويحتوي على ستة فصول ويتألف من 93 صفحة أصدرته المطبعة الكاثوليكية في لبنان[2].

د– وصف بلاد المغرب:

هو عبارة عن دراسات مفقودة، لكن قيل أنها تتضمن الناحية الجغرافية والأحوال الاجتماعية[3].

خامسا: تلاميذ ابن خلدون:

خلف ابن خلدون آثار تشهد بتأثير الكثيرين به وبعلمه وبانضمامهم إلى مدرسته التي أسهم في إيجادها على امتداد على رقعة جغرافية واسعة، ولعل أشهر هؤلاء ابن الأزرق والمقريري، ويضاف إليهما من كان اطلاع على مؤلفات ابن خلدون بعد وفاته[4].

- **ابن الأزرق:** هو محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (831هـ1429م/ 896هـ 1491م) سلك طريق ابن خلدون، من أهل

---

[1]– غماري أمال، عمرون فتيحة، المرجع السابق، ص 26.

[2]– شارف محمود، التفكير العلمي الخلدوني، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة ورقلة، الجزائر، 2015– 2016م، ص 25.

[3] – شارف محمود، المرجع السابق، ص 25.

[4] – بندر العنزي، ابن خلدون ناقدا، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، مصر، 2011–2012م، ص 371.

غرناطة، تولى القضاء بها، ثم انتقل إلى تلمسان، ثم إلى المشرق، فحج ورجع إلى مصر، فجدد الكلام في غرضه، فدفعوه عن مصر بقضاء القضاة في بيت المقدس، فتولاه بنزاهة وصيانة، ولم تطل مدته هناك حتى توفي به، له كتب منها كتاب "تخيير الرياسة وتحذير السياسة" لخص فيه كلام ابن خلدون في كمقدمة تاريخه[1].

- **المقريـزي (766هـ 1395م/845هـ 1442م):** فهو أحمد بن علي بن عبد القادر العباسي الحسني، تقي الدين المقريزي مؤرخ الديار المصرية، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، له مؤلفات كثيرة كان متأثرا في مجموع منها بابن خلدون[2].

- **الدماميني (763هـ 1362م/ 838هـ 1435م):** وهو ممد بن محمد أبي بكر عبد الله، المخزومي القرشي، ولد بالإسكندرية وارتحل إلى القاهرة ولازم ابن خلدون وأخذ عنه[3].

- **ابن جماعة (749هـ 1348م/ 819هـ 1416م):** وهو محمد بن أبي بكر بن محمد الكناني الحموي المصري الشافعي، ولد في ينبع على ساحل البحر الأحمر، وانتقل إلى القاهرة، وأقام فيها ولازم ابن خلدون، وابن مرزوق الحفيد، ولد في تلمسان في بلاد المغرب وارتحل إلى المشرق، حيث تعلم الفقه والحديث والأصول وعلوم العربية[4].

- **البساطي (760هـ 1359م/ 842هـ 1440م):** وهو محمد بن أحمد ابن عثمان الطائي البساطي، ولد في بلدة بساط غربي مصر، وارتحل إلى القاهرة، وفيها أخذ علومه في المذهب المالكي عن ابن خلدون[5].

---

(1) – خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 289.

(2) – أبو المحاسن جمال، المنهل الصافي والمستوحي بعد الوافي، تح: محمد أمين، تق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د ت، ج7، ص 415.

(3)– خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 127.

(4)– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 60.

(5)– المصدر نفسه، ج6، ص .332

سادسا: عصر ابن خلدون:

أ- الجانب السياسي:

تميز العالم العربي الإسلامي في عهد ابن خلدون بالتفكك والانحطاط، إذ كانت تحكمه دويلات صغيرة لا تكاد تستقر دولة حتى تسقط تحت ضربات العدو، فشاعت الفوضى في حالة حرب دائمة، ولم يكن الانحلال خارجيا فقط بل تعدى إلى أكثر من ذلك، حيث أن النزاع الداخلي انطفى في هذه الفترة فكان القرن الرابع عشر متميزا بثورات القصور، وتمرد القبائل[1].

كانت هذه المرحلة مشحونة بالتوتر والصراعات والحروب، ومحاولات التوسع من دويلات المغرب كما حدث في الأندلس والشام، ولعبت الحروب والمكائد دورا فعالا فكان الجوّ الذي ساد العالم العربي الإسلامي سيئا، نتيجة الانقسامات والحروب الداخلية الطاحنة وتساقط حواضر العالم الإسلامي الواحدة تلو الآخر ابتداء من سقوط بغداد، إلى الموحدين حتى سقوط الأندلس[2].

أما العالم الغربي كان عكس ذلك تماما، فقد حاول النهوض بنفسه واستمد القوة من اليونان والرومان وغيرها من الحضارات، فحارب الأوضاع الفاسدة وواجه الحروب الصليبية، ولم يكن ابن خلدون بمعزل عن هذه الأحداث التاريخية[3].

ب-الجانب الفكري:

أثر النشاط الفكري السائد في القرنين الحادي والثاني عشر على النشاط الفكري في القرن الرابع عشر، مما أدى إلى تصلبه، فنشأ ابن خلدون في عصر اضمحل فيه التفكير الإسلامي، بسبب الظروف السياسية التي سبق ذكرها، التي كانت نتيجتها أن المذاهب والنزاعات الفكرية جعلت الدين وسيلة لبلوغ الحكم، غير أن ما ميز هذا العصر هو ازدهار العلوم الطبيعية كعلم الفلك والرياضيات والمنطق وغيرها[4].

---

[1]– عبد القادر جغلول، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون، تر: فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1980م، ص 26.

[2]– إبراهيم الطيب، المرجع السابق، ص 220.

[3]– عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص 25.

[4]– المرجع نفسه، ص 25.

ج– الجانب الاقتصادي:

إضافة إلى الجمود الفكري والانحطاط السياسي الذي شهده عصر ابن خلدون فإن الحالة الاقتصادية لم تكن أوفر حظا، إذ مثلت هذه الفترة عهد لارتداد الاقتصادي[1]، الذي شهده العالم الإسلامي بصفة عامة وبلاد المغرب الإسلامي بصفة خاصة، إذ تراجعت تجارة الذهب التي كانت تمثل مصدر ثروة له.

بحيث تخلت أوروبا الغربية عن البحر المتوسط للوصول مباشرة إلى مناطق.

استيراد الذهب عن طريق المحيط الأطلسي[2].

د– الجانب الاجتماعي والديني:

أما الحياة الاجتماعية والدينية السائدة في هذه الفترة لها علاقة بالحالة الفكرية المزرية التي سبق الحديث عنها، فلا شك من أن تكون حياة الناس شقية وتعيسة لا يشعر فيها أحد بالاطمئنان، وتكون بذلك الحياة قائمة على الانتهاز والأنانية والسلب. بالإضافة إلى التعصب الديني فكان هذا العصر عصر سيطرة من رجال الدين الإسلامي[3]، على بلدان المغرب، ومطاردة واضطهاد العلماء الذين يشتغلون بالعلم، ولم يكونوا بمرتبطين مباشرين برجال الدين.

كل هذه لظروف القاسية ساعت على بروز شخص ابن خلدون، فإنه ظهر في عصر غلب عليه الانحلال في العالم الإسلامي، وسيطر فيه الظلام على العقول، فأثار ابن خلدون الانتباه وخطف إليه الأبصار، لأنه جاء كقيس نور لمع في ذلك الدجى الحالك[4].

---

[1]–عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص 27.

[2]– سفيتلانا باتسييفا، العمران البشري في مقدمة ابن خلدون، تر: رضوان إبراهيم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1986م، ص 57.

[3]– المرجع نفسه، ص 76.

[4]– أبو القاسم محمد كرو، العرب وابن خلدون، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1971م، ص 20.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب ابن خلدون –العبر– وقيمته العلمية والتاريخية

نالت مؤلفات ابن خلدون القسط الأوفر من الاهتمام، فكتابه العبر يصنف من أهم كتب التاريخ، و"المقدمة" (الجزء الأول من هذا الكتاب)، حظيت بما لم يحظ به كتاب العبر نفسه، من تهافت الباحثين على دراستها أو ترجمتها، ذلك لأنها ليست كباقي المقدمات في أبعادها وفي دلالاتها، حيث اتصفت بالشمولية في جميع العلوم وتطرقها إلى مواضيع لم تكن معروفة من قبل إلا بشكل سطحي دون أن تشكل علما.

أولا: اسم الكتاب:

سَمَّى ابن خلدون الجزء الأول من كتاب "العبر" ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ونظرا لطول العنوان يطلق المستشرقون على هذا الجزء من مقدمة المؤلف (المقدمة في فضل علم التاريخ)، ثم اختصر هذا العنوان إلى "المقدمة"[1].

ثانيا: تأليف الكتاب:

قام ابن خلدون بتأليف "المقدمة" خلال إقامته عند بني عريف التي دامت أربع سنوات، وكان ذلك سنة (776هـ1375م) بقلعة بني سلامة، وقد استغرق ذلك خمسة أشهر، ويبين ذلك في خاتمة "المقدمة": "أتممت هذا الجزء الأول بالوضع والتأليف، قبل التنقيح والتهذيب، في مدة خمسة أشهر، آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعمائة"[2].

سنشير فيما يلي إلى أقدم وأشهر الطبعات التي صدرت للمقدمة والتي أجمع بعض المفكرين والباحثين على أنها الأقرب للنسخة الأصلية التي خصصها ابن خلدون بيده، ظهرت أول طبعة للمقدمة في فرنسا سنة 1848، على يد المستشرق "كاترمير"، الذي اعتمد في إصدارها على مخطوطات (وفرتها له الحكومة الفرنسية من اسطنبول والجزائر)[3]، وقد وصفها معظم الباحثين والمهتمين بابن خلدون وأعماله أنها طبعة جديرة بالاهتمام، كما

---

[1]– سفيتلانا باتسييفا، المرجع السابق، ص 157.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: محمد إسكندرية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 2006،، ص 614.

[3]– سفيتلانا باتسييفا، المرجع السابق، ص 104.

ذكرت المستشرقة "سفيتلانا باتسييفا": "تعتبر طبعة "كاترمير" حتى الآن الطبعة النقدية الكاملة الوحيدة لنص المقدمة". وقد أصبحت هذه الطبعة فيما بعد النشرة الرئيسية التي يعتمد عليها في دراسة أعمال ابن خلدون.

أما ثاني طبعة فهي طبعة "بولاق" سنة 1857م، وقد وصفتها نفس المستشرقة بأنها أقل دقة من سابقتها، حيث تقول: أما طبعة "بولاق" لعام 1857م التي قوبلت على مخطوطة جامع القروين بفاس، فهي أول كمالا، وبها الكثير من الأخطاء"[1].

أما في القرن العشرين، فقد طبعت المقدمة عدة مرات، وكانت جل الطبعات تعتمد على طبعة الهويريني في مصر، وغالبا ما تكون خالية من التحقيق والإضافة، لكن ما يميزها هو بعين الشروح اليسيرة، وتقسيم مخالف لغيره من التقسيمات للأبواب والفصول، وسنعرض فيما بعض الطبعات التي صدرت للمقدمة على سبيل المثال لا للحصر، وقد اعتمدنا في ترتيبها على العامل الزمني[2].

أ– النشرات:

- نشرة كاترمير: باريس سنة 1856، 3 أجزاء.
- نشرة نصر الهويريني: المطبعة الأميرية ببولاق، مصر سنة 1857م.

ب–التحقيقات:

- تحقيق علي عبد الواحد وافي: مهد لها ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طباعتها وحقق وثبت كلماتها وشرح وعلق عليها وعمل فهارسها سنة 1957–1962م في 4 أجزاء.
- تحقيق خليل شهادة ومراجعة سهيل زكار طبعة مستكملة ومقارنة مع عدة نسخ ومخطوطات، 1981م، 1983م.
- تحقيق جمعة شيخة: تونس سنة 1989، يحتوي على شروحات وتعليقات متفرقة وهي مكونة من جزئين.
- تحقيق درويش الجويدي، سنة 1995م.

---

[1]–سفيتلانا باتسييفا، المرجع السابق، ص 105.

[2]–ابن خلدون للدراسات الإنسانية والاجتماعية، اطلع على الموقع الإلكتروني بتاريخ: 2021/04/05.

www.eschauss.com

- تحقيق يوسف أسعد داغر وإبراهيم الأبياري سنة 2001م، وهي مكونة من جزئين.
- تحقيق عبد السلام الشدادي: اعتمد على 40 مخطوطة أنجزها ابن خلدون بنفسه أو ناسخوه، هذه الطبعة تهتم بالنسخة الأولى، وكل التسجيلات التي أدخلا ابن خلدون على مدى 25 سنة، هي مكونة من 3 أجزاء، 2005م.

ج– الطبعات:

- دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1971م.
- دار القلم، بيروت، 1978م.
- الدار التونسية للنشر، تونس 1989م.
- موقع للنشر، الجزائر، 1991م.
- دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
- دار الفكر، بيروت، 2002م.
- دار الجيل، بيروت، 2005م.

ثالثا: الوصف الظاهري للكتاب:

أ– الطبعة المعتمدة:

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "المسمى تاريخ ابن خلدون" للعلامة "ابن خلدون" الطبعة الأولى، غلافه ذو اللون الأسود، مزخرف الواجهة كتب على واجهته معلومات الكتاب "عنوان الكتاب واسم المؤلف ودار النشر وبلد النشر"، أما خلفية الكتاب لم يكتب عليها شيء، طوله 24 سم وعرضه 17سم وسمكه 3 سم، أما واجهة الورقة الأولى من الكتاب جاء فيها ختم دار النشر "دار الكتب العلمية، بيروت"، وتليها الورقة الثانية كتب على صفحتها الأولى والثانية معلومات الكتاب كاملة، وفيما يخص الأوراق فهي ذات اللون الأبيض، كتبت بالخط المتوسط ذو اللون الأسود[1].

[1] – انظر الملحق رقم 05، ص 135.

رابعا: مضمون الكتاب:

تختلف الطبعات المتوفرة للمقدمة من حيث الزيادة والنقصان، ومن حيث تقسيم الأبواب والفصول، وسنعرض فيما يلي مضمون المقدمة "لابن خلدون".

استهل ابن خلدون مقدمته "بخطبة كتاب العبر" التي تستغرق عدة صفحات تليها "المقدمة في فضل التاريخ، يذكر فيها المؤلف فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه، ثم يأتي "الكتاب الأول، ويحدد ابن خلدون موضوعه بأنه: البحث في طبيعة العمران في الخليقة، وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما إلى ذلك من العلل والأسباب[1]، ويقسم إلى ستة أبواب:

– **الباب الأول:** يتكون من ستة مقدمات وموضوعه العمران البشري على الجملة، ويثبت فيه ابن خلدون أن الاجتماع ضروري للإنسان، ثم تأتي سلسلة من الأبحاث الجغرافية، ثم يتحدث عن الأقاليم السبعة التي كانت تعتدها الجغرافيا القديمة، كما يدرس النبوة والوحي والكهانة وغيرها.

– **الباب الثاني:** وموضوعه "العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال، ويقسمه إلى تسعة وعشرين فصلا.

– **الباب الثالث:** وموضوعه "الدولة العامة، والملك والخلافة والضرائب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الأحوال"، ويتكون من ثلاثة وخمسين فصلا. وقد وصف هذا الفصل بأنه القسم السياسي المحض، من أقسام المقدمة.

– **الباب الرابع:** وموضوعه "البلدان والأمصار وسائر العمران، وما يعرض في ذلك كله من الأحوال" وهو يتكون من اثنتين وعشرين فصلا[2].

– **الباب الخامس:** يدرس فيه: "المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك من الأحوال، وهو يتكون من ثلاث وثلاثين فصلا ويوصف هذا الفصل أنه "الباب الاقتصادي" في المقدمة[3].

---

[1]– ابن خلدون، المقدمة، ص 45.

[2]– بن براهيم الطيب، المرجع السابق، ص 29.

[3]– المرجع نفسه، ص 29.

– **الباب السادس والأخير**: يتكلم فيه عن "العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه، وما يعرض في ذلك كله من الأحوال، ويقسم هذا الباب إلى ستين فصلا، وتلي هذا الباب مجموعة من الموشحات والأزجال، ينهي ابن خلدون مقدمته "بخاتمة المقدمة"، ويذكر فيها تاريخ تأليف المقدمة والمدة التي استغرقها في إنجازها[1].

هذا هو مضمون المقدمة التي شغلت المفكرين والباحثين، فكانت موسوعة شاملة في: "الجغرافيا الطبيعية، الجغرافيا البشرية، والاقتصاد السياسي، والبيان والتربية، والكيمياء القديمة والشعر، والفقه والفنون والصنائع، والأدب، والعلوم اللسانية، والهندسة، والجبر، والطب، والفن المعماري، وتنظيم المدن، والفلاحة والفن العسكري وعلوم الكلام... [2].

خامسا: أهمية الكتاب:

يعد كتاب ابن خلدون "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" من أهم المصادر التاريخية التي لا يستغني عنها أي باحث في أي مجال من المجالات، وذلك لكونه شامل لجوانب متعددة ومختلفة من المعلومات، أما في دراستنا المتواضعة والتي كانت تحت عنوان "الدولة الحمادية من خلال كتاب العبر لابن خلدون" فقد أفادنا هذا الأخير بشكل كبير خاصة وأن الدراسة تعتمد على نص ابن خلدون كمصدر أساسي كما هو موضح من عنوان المذكرة، وفيما يخص الجزء الذي تناول موضوعنا بشكل خاص هو الجزء السادس، حيث عرض فيه ابن خلدون الدولة الحمادية وركز ذلك على الجانب السياسي والعسكري والإداري والذي خصصنا له الفصل الأول من هذه الدراسة مع استخدام مجموعة المصادر والمراجع الأخرى.

سادسا: آراء المفكرين والباحثين حول ابن خلدون:

حظي ابن خلدون بالكثير من الاهتمام والدراسة والتحليل، سواء في الغرب أو في الشرق، وفيما يلي سنعرض آراء بعض المفكرين والباحثين حول ابن خلدون أو حول أحد

---

[1]– ابن خلدون، المقدمة، ص 40.

[2]– محمود درويش، سهيل عثمان، من مقدمة ابن خلدون، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سوريا، 1978م، ص 41.

أعماله وحتى يكون هذا العمل حياديا، سنتطرق إلى بعض الآراء الإيجابية، والسلبية التي أبداها لمفكرون من طرف الغرب أو العرب.

أ– إيجابيا:

1– العرب:

– **ابن الخطيب:** عاصر ابن خلدون، وكثيرا ما ذكره باهتمام وتفضيل، وذكر ابن خلدون في مؤلفه "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، أنه كانت تربطهما علاقة صداقة وذلك في قوله "صاحبنا" عندما يتحدث عن ابن الخطيب[1].

– **المقريزي:** أدرك قيمة المقدمة وأعلن أنها لم يصنع مثلها، وكان أحد تلامذة ابن خلدون وقد تم تعرض بالتفصيل لسيرة حياة معلمه، وكتب في المقدمة بإعجاب شديد[2].

– **مغربي عبد الغني:** تأثر بالفكر الاجتماعي الخلدوني، وقال عن ابن خلدون لن يتوقف أبدا، هذا العبقري، عظيم الفكر المغاربي العربي العالمي، عن أبصار العلماء كما الجاهلين بأصول العلم في الوقت الحالي أو في المستقبل[3].

– **محمد عابد الجابري:** درس الفكر الخلدوني، وهو يرى أن ابن خلدون هو من دفعه إلى دراسة "التراث" دراسة تختلف عن سابقتها يقول: "إن التأويلات المعاصرة والمتعددة لابن خلدون تخفيه عنا، لذلك قررت أن أنسى كل ما يكتب عنه، ولا أتخذ مرجعا غير النصوص الأصيلة، وهكذا قررت أن أكتب وكأن أحدا لم يكتب عنه من قبلي"، إلا أنه استبعد أن يكون ابن خلون قد كتب المقدمة في ظرف خمسة أشهر، لأنه يرى أن مؤلفا بهذا الكمال والشمولية (لا يمكن أن يؤلف في ظرف قياسي كهذا)[4].

– **مالك بن النبي:** لقد كانت بداية مالك بن نبي مع ابنخلدون مبكرة جدا وكانت بمثابة منعرج جديدة ونقطة تحول هامة في مسار حياته الفكرية، فقد ساعده ابن خلدون على الروح العلمية والفكر المعمق والأصيل والإثراء الموضوعي، يقول فهمي جدعان: "لقد كان مالك بن

---

[1]– ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص 45.

[2]– محمود درويش، المرجع السابق، ص 36.

[3]– آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وآرنولد تريمبي، المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، 1989، ص 36.

[4]– أبو القاسم كرو، المرجع السابق، ص 42.

أبرز مفكر عربي عني بالفكر الحضاري بعد ابن خلدون، إلا أن ابن خلدون بالذات يظل أستاذه الأول وملهمه الأكبر"[1].

- **داي الدين فخري:** قام بتأسيس "المدرسة الخلدونية" (Ecole Khaldounia) التي تم الإعلان عنها في المؤتمر الثاني والعشرون للمستشرقين والمنعقدة بتركيا سنة 1951م[2].

2– الغرب:

- **سلفستردي ساسي:** أشار سنة 1818 إلى أن "المقدمة بصفة خاصة تستحق تقديرا فخريا من بين أعمال المؤرخين العرب، واهتم بمعظم أعمال ابن خلدون وترجمها إلى الفرنسية[3].

- **شولتز** :" دعا إلى تحويل مجرى الأبحاث من الاهتمام بالمعلقات والغزل إلى الأعمال التاريخية والفلسفية، وأشار في أحد مقالاته إلى ضرورة إصدار نشرة سريعة وترجمة للمقدمة، التي اعتبرها بحثا فلسفيا[4].

- **روزنتال:** قال عن ابن خلدون أنه (أحد أعظم الشخصيات في كل زمان) وقام بترجمة المقدمة إلى اللغة الانجليزية[5].

- **جورج سارتون:** يقول عن ابن خلدون "أنه لم يكن أعظم مؤرخي العصور الوسطى شامخا كعملاق بين قبيلة من الأقزام فحسب، بل كان من أوائل فلاسفة التاريخ"[6].

---

[1]– جدعان فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص 410.

[2]– أبو القاسم كرو، المرجع السابق، ص 40.

[3]– موقع الإلكتروني اطلع عليه بتاريخ: 2021/04/05.

www.biographiesuniverelles.com

[4]– سفيتلانا باتسييفا، المرجع السابق، ص 93.

[5]– أبو القاسم كرو، المرجع السابق، ص 40.

[6]– المرجع نفسه، ص 41.

ب– سلبا:

1–العرب:

- **حافظ ابن حجر:** أحد معاصري ابن خلدون، رغم أنه امتدحه ووصفه بأنه من أبرز الخطباء في عصره إلا أنه اتهمه في عدة أشياء منها نقص معلوماته حول الشرق، كما اعتبر أن سحر المقدمة راجع إلى براعتها اللفظية[1].

- **السخاوي:** أحد تلاميذ ابن حجر، اهتم بدراسة المقدمة (دراسة سطحية)، واتهم وأستاذه ابن حجر بالتحايل على ابن خلدون[2].

- **مصطفى الشكعة:** اتهم ابن خلدون أنه نقل ثلاثة نصوص عن ابن النفيس في كتابه "السيرة الكاملة"، أولها عن طبيعة العمران، وثانيها عن ضرورة المعاش وثالثها عن الإمامة، كما اتهمه بإصدار الأمانة العلمية[3].

- **طه حسين:** لقد وجه طه حسين سلسلة من الاتهامات إلى ابن خلدون منها أن كان يجهل الكتب التي كان يتحدث عنها في مقدمته، وأن أفكاره جاءت ضد العرب، كما أعلن الشك في نسبه، وطعن في أخلاقه، كما طعن في أخلاقه وعقيدته الدينية[4].

- **محمد عبد الله عنان:** يرى أن ابن خلدون لم يستطع أن يقيم مدرسة كاملة محورها منهجه وأسلوبه في التفكير، كما أنه يشترك مع طه حسين في أن ابن خلدون جاء بأفكار ضد العرب[5].

- **أحمد أمين:** يرى أن ابن خلدون كان شعوبيا يعادي العرب ويتهجم عليهم، يقول: "...بل يصبح لنا أن نعد ابن خلدون شعوبيا، [...] فقد رأينا رأيه في العرب في الجزء الأول من "فجر الإسلام" وهو رأي في أشد العنف والقسوة على العرب وخصائصهم...قبل أن نرى

---

[1]– محمود درويش، المرجع السابق، ص 37.

[2]– المرجع نفسه، ص 37.

[3]– موقع الإلكتروني اطلع عليه بتاريخ: 2021/04/16.

www.eyyhistory.com

[4]– أبو قاسم كرو، المرجع السابق، ص 57.

[5]– محمود درويش، المرجع السابق، ص 36

شعوبيا متطرفا وصل إلى ما وصل إليه في صراحته وشدته، لكنه رغم هذا يرى ابن خلدون متدينا على عكس بعض من اتهمه في دينه[1].

- **سامي الكيالي:** حذا حذو طه حسين في الحديث عن ابن خلدون، وعاب على ابن خلدون استخدامه لكلمة "عرب" في المقدمة للدلالة على العرب بمفهومها العام[2].

2–الغرب:

- **لوابدا نيولفسي،** عرض في كتابه "مناهج البحث العلمي في التاريخ" فكرة مشوهة عن الجوهر الأصيل لمقدمة ابن خلدون وغالى بشدة في دور الدين في المقدمة[3].

خلاصة القول:

إن كتاب "العبر" ابن خلدون مصدرا أساسيا لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه، حيث حمل في طياته الجانب التاريخي والسياسي للعديد من الأقطار الإسلامية وغيرها.

[1]– أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ج1، ص 59.

[2]– محمود درويش، المرجع السابق، ص 77.

[3]– سفيتلانا باتسييفا، المرجع السابق، ص 121.

الفصل الأول

الواقع السياسي والمذهبي للدولة الحمادية

المبحث الأول: الواقع السياسي للدولة الحمادية

المبحث الثاني: العلاقات السياسية للدولة الحمادية

المبحث الثالث: الواقع المذهبي وسقوط الدولة الحمادية

تمهيد:

ركز ابن خلدون في كتابه "العبر" في حديثه عن الدولة الحمادية على الجانب السياسي والإداري والعسكري، حيث قدم لنا كم هائل من المعلومات التاريخية لهذه الدولة منذ نشأتها إلى غاية سقوطها على يد الموحدين وذلك بذكره لجهود الحماديين في تأسيس دولتهم وتوسيع نفوذهم، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل استنادا علي نص ابن خلدون وبالإضافة إلى المصادر والمراجع الأخرى.

المبحث الأول: الواقع السياسي للدولة الحمادية

أولا: أوضاع المغرب الأوسط قبيل تأسيس الدولة الحمادية

حماد هو أحد أبناء بلقين بن زيري الصنهاجي[1]، فلما توفي بلقين بن زيري كان لابد أن يكون لحماد نصيب من إرث والده، إلا أنه لم ينازع أخاه المنصور في رياسة دولة بني زيري وعمل تحت إمرته إذ يذكر ابن خلدون: "أن المنصور عقد لأخيه حماد على أشير[2] والمسيلة[3] وكان يتداولهما مع أخيه يطوفت وعمه أبي البهار"[4].

توفي المنصور يوم الخميس 3 ربيع الأول 386هـ، فبويع ولده باديس[5]، الذي ترك

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ج6، ص 183.

[2]– **أشير**: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البر، بناها زيري بن مناد الصنهاجي وقام بتحصينها لحماية أهل المنطقة وزرع الناس فيها وقصد أهل تلك النواحي طلبا للأمن فأصبحت مدينة مشهورة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د ط، 1977م، ج1، ص ص 202–203.

[3]– **مسيلة**: مدينة بالمغرب الإسلامي تسمى المحمدية، اختطاها أبو القاسم محمد بن المهدي في سنة 315هـ. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص 130.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 183.

[5]– عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 1994، ص 250.

له مهمة قتال زناتة[1] وإرسال الجيوش للقضاء عليها، لكن لم تتمكن قوات بني زيري من القضاء على قوة مغراوة[2] وعندما عجز بنو زيري عن بسط سلطانهم وهيمنتهم على أنحاء المغرب الأدنى والأوسط بسبب الثورات المتعددة مع زناتة، قرر باديس أن يستعين بعمه للقضاء على دولة زناتة المعادية له[3]، فقبل حماد مساعدة ابن أخيه باديس الذي استضعفته زناتة لصغر سنه وخالفوا عليه، فاشترط حماد شروط كثيرة وتشطط فيها، فيذكر ابن عذارى المراكشي: "أن في شهر صفر 387هـ/1094م عقد باديس ولاية أشير لحماد ابن أبي الفتوح يوسف بن زيري مناد وأعطاه من الخيل والسلاح شيئا كبيرا" فخرج عاملا عليها[4]، وقام بمهمته بحداقة واستطاع أن يقهر زناتة[5].

وظل حماد على وفاق مع ابن أخيه باديس إلى حين بدأ يشعر أن من حقه أن تكون له دولة مستقلة بعيدة عن أعمامه الزيريين، وأول ما بدأ به هو بناء القلعة بجبل كيانة بكتامة المعروف باسم المعاضيد سنة 398هـ1007م[6]، فهي مدينة كاملة ذات أحياء، ومساجد يتوسطها حصن منيع، فاتضح لباديس موقف عمه العدائي اتجاه ملكه والدعوة الشيعية، وأدرك منه هذا الميل والاستقلال، فأرادا أن يختبر مدى ولائه له، فكتب إليه لطيفا يأمره فيه أن يسلم مدينة تيجس[7] وقسنطينة لابنه المنصور.

---

[1]– **زناتة:** كانت تعيش حياة البدو والرحل، وكانت تتواجد في المناطق التي تمتد بين نهر الشلف والمحيط الأطلسي، وكانت فروع أخرى منها تعيش في المناطق التي تمتد في المغرب الأوسط. ينظر: إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،دط، 1980م، ص 137.

[2]– **مغراوة:** هي قبيلة من أوسع بطون زناتة ينتسبون إلى مغراو بن يصلتين بن مسر بن زاكية بن ورسيك بن ألبيرت بن جانة إخوة بني يفرن وبني يرنيان. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص 33.

[3]– عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت،دط، 1997م، ص 37.

[4]– ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، لبنان، ط3، ج1، ص 248.

[5]– برنيان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: إسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1984، ص 104.

[6]– رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1971م، ص 37.

[7]– **تيجس:** كانت مكان إقامة الدوق يقود القوات البيزنطية أيام الفتح الإسلامي لعبت دورا هاما في العهد الفاطمي وأيام الزيريين والحماديين. ينظر: صالح بن قربة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص 245.

بعث باديس إلى عمه إبراهيم بن يوسف شاوره من يمضي بالكتاب إلى حماد فقال له: "لا يجد سيدنا من عبيده أنصح له ولا أنهض بخدمته مني" وضمن ذلك أكد على نفسه العهود والمواثيق تبرعا منه كما أشار على باديس ثقاته أن يعتقل إبراهيم حتى يرى ما يكون من طاعة أخيه فأبت نفسه ذلك فقال له: "امضي إلى أخيك يا عم"، فإن كنت صادقا فيما عقدته على نفسك[1].

فسار إبراهيم بن يوسف إلى أخيه حماد في القلعة[2]، فاجتمعت كلمتهما وخلعا أيديهما عن الطاعة لباديس، مما جعل هذا الأخير يثور على عميه (إبراهيم وحماد) فرحل بعسكره[3]، وعلى رأسهم هاشم بن جعفر وكانت الهزيمة لجيش هاشم، فتقدم حماد إلى تونس وباجة[4]، فاحتلهما وأثار أهلهما ضد الشيعة إذ يقول ابن خلدون في هذا الصدد "وزحف إلى باجة فدخلها بالسيف ودس إلى تونس الثورة على المشارقة والرافضة فثاروا بهم"[5].

يوم إذن زحف باديس إليه وعبر نهر شلف مع جيشه وهجم فجأة على حماد فكانت المعركة شديدة وانتهت بانتصار باديس، وفر حماد إلى القلعة غير أن باديس ومن معه من أعداء حماد والناقمين عليه تمكنوا من الإحاطة به ومحاصرته حيث دام الحصار ستة أشهر إلى أن توفي باديس فيقول ابن خلدون: "ثم هلك بمعسكره من ذلك الحصار فجأة بمضربة

---

[1]– شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، لبنان، ج24، ص 107.

[2]– السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ج2، ص ص 649–650.

[3]– سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيين إلى قيام المرابطين، منشأة المعارف، الإسكندرية، القاهرة، د ط، د ت، ج3، ص ص 388–389.

[4]– **باجة:** مدينة كبيرة أزلية قديمة فيها أثار، ولها حصن حصين مبني بالصخر الجليل، تقع على جبل شديد البياض يسمى الشمي لبياضه، وتسمى باجة إفريقية، فإن بها تمتاز جميع البلاد عربها وبربرها باسمها سميت باجة بجزيرة الأندلس وباجة إفريقية على مقربة من فحص قل المشهورة بكثرة الزرع. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار لوصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تح: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د ط، د ت، ص : 184.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج6، ص 184.

وهو نائم بين أصحابه ست وأربعمائة، فبويعت صنهاجة لابنه المعز صبيا ابن ثمان سنين"[1]، وذلك كان موت باديس قد أنقذ حماد من الحصار[2].

أ. **انعقاد الصلح واستقلال الدولة الحمادية:**

لما توفي باديس، عاد أصحابه إلى المنصورية لمبايعة ابنه المعز ابن ثمان سنوات فبايعوه البيعة العامة[3] سنة 406هـ1113مـ[4]، ودخل حماد مسيلة وأشير واستعد للحرب وحاصر باغاية[5]، وكانت المنطقة تابعة للمعز فبلغه خبر ذلك التعدي فزحف إليه سنة 408هـ1115م فاضطر حماد إلى رفع الحصار على باغاية، وانهزم وفر إلى القلعة بعد أن أخفق حماد وتفرق عنه رجاله ووجد أن الصلح مع خصمه هو الأفضل لاسترجاع كيانه، فبعث إلى المعز راغبا في الصلح[6].

فاستجاب له هذا الأخير لكن بشرط ارتهان ابنه القائد، فيقول ابن خلدون: "وأشفق حماد فبعث ابنه القائد لإحكام الصلح بينه وبين المعز، فوصل إلى القيروان سنة ثمان وأربعمائة بهدية جليلة، وأمضى له المعز ما سأله من الصلح ورجع إلى أبيه"[7]، فأقطعه

---

[1]–ابن خلدون، العبر، ج6، ص 184.

[2]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 256.

[3]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 184.

[4]– سيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 651.

[5]– **باغاية:** تقع هذه المدينة الإستراتيجية في موقع يتحكم في الطريق الهام المار بين جبال الأوراس جنوبا وقارة الطرف شمالا وهي من الاستحكامات العسكرية التي تدافع عن المنطقة وعن هذا السلك الهام الرابط بين الصحراء والتل، وكانت هذه المدينة في مرحلة الفتح الإسلامي قلعة حصينة حاول الفاتحون الاستيلاء عليها واعتمدت الكاهنة للوقوف ضد حسان بن نعمان. ينظر: صالح بن قربة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، ص 240.

[6]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 184.

[7]– المصدر نفسه، ج6،ص 184.

طبنة[1] إلى مقره، سوق حمزة[2]، وزواوة[3]، ومرسى الدجاج[4] ومسيلة، وبذلك رفعوا الحرب واحتملوا الأصهار، حيث تزوج عبد الله بن حماد أخت المعز أم العلو وذلك سنة 415هـ[5].

وبهذا الصلح افترق ملك صنهاجة إلى دولتين: دولة المنصور بن بلقين أصحاب القيروان، ودولة حماد أصحاب القلعة[6].

وبذلك تم الاعتراف بالدولة الحمادية ككيان سياسي مستقبل عن الدولة الزيرية[7]، وأصبح مقر حماد أحيانا بأشير وأحيانا أخرى بالقلعة ولكن يغلب عليه المكوث في القلعة لأنها نتيجة جهوده[8].

ثانيا: أمراء بني حماد:

حكم بنو حماد المغرب الأوسط منذ سنة 408هـ/1115م إلى سنة 547هـ1156مـ[9]، وقد حكم على امتداد هذه الفترة تسعة أمراء[10]، اختلفوا قوة وضعفا

---

[1]– **طبنة:** يقع قرب مدينة بريكة الحالية، ما بين واد بيطام ووادي بريكة على السفح الغربي للهضبة التي تسيطر على سهل طبنة، لعبت دورا اساسيا في الدفاع عن إفريقية من الهجمات الزناتية الآتية من الغرب وكانت المدينة قلعة بيزنطية ذات تحصين منيع أيام عقبة بن نافع وبقيت تلعب دورا هاما بعد افتتاحها من طرف موسى بن النصير. ينظر: صالح بن قربة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، ص 241.

[2]– **سوق حمزة:** مدينة عليها سور وخندق وبها آبار عذبة وهي لصنهاجة وكان قد نزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسن بن علي إلى بني جناد، وهي مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر ميل ومنها إلى مرسى الدجاج. ينظر: أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر إفريقية "المسالك والممالك"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 65.

[3]– **زواوة:** بلد بين إفريقية. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 155.

[4]– **مرسى الدجاج:** مدينة أحاط بها البحر من ثلاث نواح وقد ضرب سور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ومن هناك يدخل إليها، وأسواقها ومسجد جامعها من داخل ذلك السور له باب واحد يسكنها الأندلسيون وقبائل كتامة، بينها وبين أشير أربعة أيام وبشرقها مدينة بني حماد وهي أصغر منها. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 106.

[5]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 184.

[6]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 210.

[7]– محمد طمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2010م، ص ص 86-87.

[8]– المرجع نفسه، ص ص 92-93.

[9]– رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص 116.

[10]– انظر الملحق رقم 07، ص 137

وأسلوب الحكم واشتركوا في صفة بارزة أنهم كانوا أغلاظا أقوياء تغلب عليهم النزعة القبلية وامتلاك أزمة السلطة، وكانوا إلى البداوة أقرب [1]، ابتداءا بحماد مؤسسة الدولة وثمانية آخرون ينقسمون إلى ثلاثة فروع، الفرع الأول ينتسب إلى القائد بن حماد ويشتمل على القائد وابنه المحسن، والفرع الثاني ينتسب إلى محمد بن حماد ويمثله أمير واحد وهو بلقين بن محمد والفرع الثاني ينتسب إلى علناس بن حماد ويحتوي على خمسة أمراء: الناصر بن علناس، المنصور بن الناصر، باديس بن المنصور، العزيز بن المنصور، ويحيى بن العزيز [2].

1-حماد بن بلقين (408هـ419هـ/ 1015م-1029م):

هو حماد بن بلقين بن زيري بن مناد بن منقوش الصنهاجي[3]، وأشهر ملوك صنهاجة[4]، وكان الرابع في ترتيب أبناء بلقين وأول أمراء الدولة الحمادية كانت ولادته قبل استقلال أبيه بلقين بحكم المغرب الأوسط سنة 361هـ، بعد عدة سنوات في عام 354هـ ونشأ في بيت الخلافة الفاطمية، حيث كان أبوه وجده الساعد الأيمن للدولة الفاطمية[5]، وكان لحماد ثلاث إخوة هم: يطوفت، إبراهيم والمنصور الذي تولى حكم بني زيري بعد أبيه بلقين وله أبناء هم: القائد وعبد الله[6].

كان حماد على علم كبير بالقرآن وعلم الحديث، بالإضافة إلى تعلمه فنون القتال والفروسية وعدم اهتمامه بتعليم المذهب الإسماعيلي الشيعي[7]، كما كان شجاعا، صارما، عالما في لفقه والجدل، تقيا يصوم ثلاثة أشهر في السنة ولا يشرب الخمر [8].

---

[1] – مبارك بن محمد الميلي، تاريخ لجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ، د ط، د ت، ج2، ص 238.

[2]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 116.

[3]– المرجع نفسه، ص 06.

[4]– عبد الفتاح الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، مكتبة القاهرة، 1414هـ/1994م، ص 268.

[5]– المرجع نفسه، ص 268.

[6]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 38.

[7]–عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 268.

[8]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 38.

برزت شخصية حماد على مسرح الأحداث سنة 373هـ وذلك بعد موت والده وتسلم أخوه المنصور البلاد، لمع اسمه كقائد عسكري من خلال الحروب مع القبائل الزناتية ونجح في إزاحتها بعثرتها[1]، وفي سنة 398هـ بنى حماد مدينة القلعة ونقل إليها الناس من سائر البلاد وقام بتمصيرها سنة 400هـ وأعلن استقلاله في سنة 405هـ ويثبت سلطان بني حماد بعد عقد الاتفاق مع الزيريين وتوطيد الصلح معهم خاصة بعد تزويج ابنه عبد الله بأخت المعز أم العلو في 415هـ[2]، وهكذا ازدادت المودة بينهما إلى أن توفي في رجب عام 419هـ[3] بتازمرت في ناحية قلعة بني حماد[4].

2-القائد بن حماد (419هـ446هـ/1027م-1054م):

بعد وفاة حماد مؤسس الدولة الحمادية خلفه ابنه القائد بدون صعوبة وبقي على رأس الدولة الحمادية خمسة وعشرين عاما[5]، كان القائد جبارا صارما[6]، تميزت فترة حكمه في الحقبة الأولى من عصره بالاستقرار وساعدته عدة عوامل من أبرزها توطيد أسس الصفاء بين أبيه بلقين والمعز بن باديس إذ كان هو السفير والرهينة التي بواسطتها تم الصلح[7]، بالإضافة إلى انشغال المعز بن باديس عنه ومداهمته من طرف العرب كما جاء في قول ابن الخطيب: "واستقام الأمر للقائد بن حماد لاشتغال المعز بن باديس عنه بما داهمه من العرب"[8].

---

[1]- عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 268.

[2]- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991، ص 62.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 394.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 39.

[5]- المرجع نفسه، ص 40.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 229.

[7]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 239.

[8]- لسان الدين السلماني ابن الخطيب، تاريخ المغرب في العصور الوسطى أعمال الأعلام، دار الكتاب، دار البيضاء، 1964م، ص 87.

واصل القائد سياسة أبيه في التوسع غربا حتى أدخل ملك فاس حمامة بن زيري بن عطية المغراوي في طاعته سنة 430هـ لخشيته من الهزيمة بعد أن علم أن القائد دفع أموالا كثيرة لعساكره ليخونوه[1]، وفي سنة 434هـ حارب القائد الأمير الزيري المعز فسار إليه هذا الأخير وحاصر قلعة بني حماد لمدة سنتين[2]، فطلب القائد العفو من المعز بن باديس فعفا عنه ورجع إلى إفريقية[3] وحينما ساءت علاقة المعز بن باديس بالفاطميين أعاد القائد بن حماد علاقته بالفاطميين وأمر بالدعاء للخليفة الفاطمي على المنابر فمنحه الخليفة الفاطمي لقب شرف الدولة".إذ يذكر ابن خلدون :"راجع القائد طاعة العبيديين لما نقم عليه المعز ولقبوه شرف الدولة"[4].

ظل القائد على ولائه للخلافة الفاطمية حتى هلك شهر رجب 446هـ أكتوبر 1054م[5].

3-عهد محسن بن القائد (446هـ-447هـ/1054م-1055م):

قبل مماته كان القائد قد عين ابنه محسنا ليخلفه على رأس الدولة الحمادية، وأوصاه بالإحسان إلى عمومته[6]، فكان عهد محسن الذي لم يدم إلا تسعة أشهر كثير الاضطرابات لأنه لم يكن بصورة التي تتوافر في حاكم يقود أمور الدولة فقد كان مندفعا متسرعا ،لم يكن على درجة عالية من الفطانة التي تمكنه من إدارة شؤون دولته التي تتعرض للأخطار التي كانت تتوالى على المغرب منذ عام 441هـ إثر الغزاوت الهلالية[7]، لأنه امتاز بالقسوة الشديدة[8]، وكان ذا طابع عنيف ومتجبر[9]، فقد خالف ما أمره به والده بأن لا يخرج من

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 41.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 352.

[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 41.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 229.

[5]- ابن الأثير أبو الحسن عبد الواحد الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ج8، ص 68.

[6]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 52.

[7]- عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 279.

[8]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 120.

[9]-الهادي الروجي إدريس، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر ميلادي، تر: محمد الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1992م، ج1، ص 290.

القلعة قبل ثلاث سنوات،وأن لا ينازع أعمامه في مناصبهم، ما جعل عمه يوسف عامل المغرب في عهد القائد الذي كان قد أسس قلعة اسمها الطيارة في جبل منيع، يثور عليه فجمع جمعا عظيما وهجم على أشير، فسار محسن إليه وفي طريقه وجد أعمامه مدني وقلان عامل حمزة ومناد وتميما فقتلهم ثم كتب إلى يوسف واستدعاه،فلم يلب يوسف دعوته[1]، حينئذ استدعى ابن عمه بلقين بن محمد وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "أن محسن بعث بلقين بن محمد في طلب يوسف وأصبحه من العرب خليفة بن مقن وعطية الشريف وأمرهما بقتل بلقين في طريقهما فأخبر بلقين بذلك وتعاهدوا جميعا على قتل محسن وأنذر بهم ففر إلى القلعة وأدركوه فقتله بلقين"[2]، وهكذا أغتيل الأمير الحمادي على يد ابن عمه بلقين بن محمد بن حماد[3].

4-بلقين بن محمد بن حماد:

تولى بلقين بن محمد بن حماد الحكم في رجب سنة 447هـ[4]، وكان شهما حازما[5] شجاعا جريئا سفاكا للدماء[6]، وفي عهد بلقين بن محمد كانت بسكرة بين يدي عائلة بني رمان الذين كانوا يملكون على قول ابن خلدون :"عامة ضياعهم"[7] وكان في مقدمتهم جعفر بن أبي رمان صيت شهرة، فثار جعفر هذا على بلقين بن محمد سنة 450هـ/1058م-1059م فسير الأمير الحمادي إليه جشيا تحت قيادة الوزير خلف بن أبي حيدرة، ففتح الجيش الحمادي بسكرة عنوة وألقى القبض على شيوخ بن رمان فيقول ابن خلدون: "واحتملهم إلى قلعة بن حماد فقتلهم بلقين جميعا"[8].

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 52.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص 352-353.

[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 87.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص53.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 353.

[6]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 87.

[7]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 354.

[8]- المصدر نفسه، ج6، ص 354.

كما أكثر بقلين غزواته إلى المغرب الأقصى إذ يذكر ابن خلدون: "ابن بلقين كان كثيرا ما يردد الغزو إلى المغرب"[1]، ومن بين هذه الغزوات ذكر الغزو الذي قام به الأمير الحمادي بالمغرب الأقصى في صفر 454هـ فبراير 1062م وذلك لأنه كان بلغه، استيلاء يوسف بن تاشفين والمرابطين على المصامدة فاضطر المرابطون إلى الفرار إلى الصحراء وفي نفس الغزو فتح بلقين مدينة فاس ورجع إلى المغرب الأوسط في رجب 454هـ 1062م[2].

وقد كان لبقلين أخ اسمه مقاتل، فمات مقاتل،فاتهم بلقين تاميرت زوجة مقاتل بقتله، فقتلها فأخذ الناصر بن علناس أخو تامريت بثأرها وقتل بلقين عند رجوعه من المغرب الأقصى في أول رجب 454هـ/11 يوليو 1062م[3].

5-الناصر بن علناس (454هـ481هـ/1062م-1089م):

تولى الناصر بن علناس الحكم سنة454هـ[4]، بعد قتله لبلقين وفي نفس السنة تولى ابن عمه تميم بن المعز على ما بقي من إفريقية[5]، وكان الناصر جريئا على سفك الدماء وشديد الغيرة على النساء[6]، شهد المغرب في عهده أحداث كثيرة أهمها تأسيس مدينة بجاية وقبل قيامها مرت أحداث وهي تنظيم الدولة[7]، ويذكر ابن خلدون :"في أيام الناصر هذا عظم شأنهم، فبنى المباني العجيبة المؤنقة وشيد المدائن العظيمة ورد الغزو إلى المغرب وتوغل فيهم"[8]، وكما ذكر أيضا ابن خلدون: "بأن الناصر عقد على المغرب لأخيه كباب وأنزله مليانة، وعلى حمزة لأخيه رومان، وعلى نقاوس لأخيه خرز وكان المعز قد هدم

---

[1]- المصدر نفسه، ج6، ص 356.

[2]-ابن خلدون، العبر، ج6، ص 358.

[3]- الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 01.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 58.

[5]- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 161.

[6]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 96.

[7]- ريشد بورويبة، المرجع السابق، ص 58.

[8]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 232.

سورها، فأصلحها الناصر وعقد على قسنطينة على أخيه بلبار، وعلى الجزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله وعلى أشير لابنه يوسف"[1].

ومن هنا توترت العلاقة بينه وبين تميم بن المعزبن باديس[2]، فاستطاع هذا الأخير أن يهزم الناصر هزيمة منكرة في معركة سبيبة سنة 457هـ حيث يقول إبن خلدون أن زناتة غدرت بالناصر وذلك بدسيسة ابن المعز الزيري بن عطية وغراء تميم بن المعز[3]، بدعم من قبائل بني رياح العربية وبني هلال بعدما تمكن من إقناعهم[4] وأدى هذا الانتصار إلى سيطرة القبائل الهلالية على إفريقية فاضطر الزيريون إلى التخلي عن القيروان وتراجع إلى المهدية وتخلى الحماديون عن القلعة وتمركزوا في بجاية التي عرفت أيضا بالناصرية نسبة إلى الناصر الذي بناها واتخذها مركزا له حيث يقول ابن خلدون: "أن الناصر افتتح هذا الجبل واختط به مدينة سماها الناصرية ونقل إليها الناس واسقط الخراج عن سكانها وانتقل إليها سنة 461هـ وفي سنة 481هـ/1089م توفي بعدما تولى الأمر سبع وعشرين سنة[5] فترة طويلة قضاها في الأعمال العسكرية التي لم يحقق فيها انتصارات كثيرة فعوضها بالأعمال المدنية المتمثلة في بناء بجاية المدينة الجديدة الناصرية[6].

6-منصور بن الناصر(481هـ498هـ/1089م-1105م):

تولى المنصور بن الناصر الحكم بعد وفاة والده عام 481هـ[7]، وبعد سنتين انتقل إلى بجاية[8]، ومع ذلك لم يترك القلعة نهائيا، ففي عهده كان لبني حماد عاصمتان يربطهما

---

[1]-ابن خلدون، العبر، ج6، ص 234.

[2]- عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 291.

[3]-ابن خلدون، العبر، ج6، ص 243.

[4]- الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 306.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 306.

[6]- عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 294.

[7]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 232.

[8]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 74.

طريق، يذكر ابن خلدون: "أنه كان مولعا بالبناء وهو الذي حضر ملك بني حماد وتأنق في اختطاط المباني وتشيد المصانع"[1].

شهدت بداية حكمه بعض الأحداث التاريخية[2]، منها: الثورات المحلية التي قام بها عمه يلباز والي قسنطينة، كما ثار عليه ابن عمه أبي يكنّى بن المحسن بن القائد بن حماد، حاكم ولاية بونة[3]، كما حارب المرابطين وبني ومانو، وغزوه لتلمسان في شوال 496هـ، إذ توجه المنصور نحو تلمسان بجيش قوامه عشرين ألف عسكري من صنهاجة وبني هلال وزناتة، فوصل إلى وادي صفصاف وبعث في مقدمته تاشفين بن نيعمر، أما الوالي المرابطي فكان قد غادر تلمسان، فلقية المنصور بتسالة وهزمه وفتح المنصور مدينة تلمسان[4].

وفي السنين الأخيرة من عهده قام المنصور بمحاربة زناتة، حيث يقول ابن خلدون: "شردهم بنواحي الزاب والمغرب الأوسط"[5]، ثم قام بقتال قبائل ناحية بجاية، وفي سنة 498هـ/1105م توفي المنصور بن الناصر الأمير الحمادي السادس فخلفه ابنه باديس[6].

7-عهد باديس بن منصور 498هـ/1105م:

بعد وفاة المنصور خلفه ابنه باديس على العرش الحمادي[7]،وتعتبر شخصيته شبيهة لشخصية الأمير محسن بن القائد، مما جعل فترة حكمهما أقصر فترة في تاريخ الحكام[8].

ابتدأ عهد باديس بن منصور بالإساءة إلى كل من حوله، فنكب عامله على بجاية[9] عبد الكريم بن سليمان الذي كان وزيرا لأبيه المنصور، وذلك ربما أحس منه بخطر على

---

[1]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 358.

[2]– عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 295.

[3]– **بونة:** مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزية بني مزغنة، وهي مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه وتنتسب إلى أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 512.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 234.

[5]– المصدر نفسه، ج6، ص 234.

[6]– إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 204.

[7]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 79.

[8]– عبد الفتيح الغنيمي، المرجع السابق، ص301.

[9]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 147.

الحكم، وامتدت إساءته إلى أخيه العزيز الذي كان واليا على مدينة الجزائر في عهد أبيهما المنصور[1]، فعزله ونفاه إلى جيجل[2]، ويقال أنه ألقى رجلا صالحا إلى الأسود، كما جاء في ذكر ابن الخطيب: "أن باديس ألقى رجلا صالحا إلى الأسود فبات ليلة معها وأصبح لم تعد إليه"[3].

كما كان يتوعد أمه بالقتل وبذلك لم تطل مدة حكمه حتى توفي في 13 ذي القعدة سنة 498هـ الموافق لـ 1105م ويقال أن أمه هي التي سمته لأنه كان يتوعدها ويهددها[4].

8-العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس (498هـ515هـ/1105م-1125م):

بعد وفاة باديس أرسل القائد علي بن حمدون رسولا إلى العزيز، فرجع إلى بجاية بعد أن تغرب إلى جيجل وخلف أخاه باديس على العرش الحمادي[5]، كان حسن الخلق ومعتدل كاتب ملوك زمانه وسالمهم فكانت أيامه أعيادا لحسنها وجمالها[6].

ومن الأحداث الهامة التي وقعت في عهده الغزو الحمادي لإفريقية[7]، فقد غزت أساطيله جربة، فنزلوا على حكمه وأخذوا بطاعته[8]، كما أنه تقرب من أبناء عمومته في المهدية واستطاع إخضاع أحمد بن عبد العزيز الخرساني لنفوذه، ويذكر ابن خلدون أن بني هلال هاجموا قلعة بني حماد فيقول: "اكتسحوا جميع ما وجوده بظواهرها وعظم عبثهم" فحاربهم العزيز وأخضعهم فيقول صاحب "العبر": "قاتلتهم الحامية فغلبوهم وأخرجوهم من البلد"[9].

---

[1]- عبد الفتيح الغنيمي، المرجع السابق، ص302.

[2]- **جيجل:** مدينة جزائرية ساحلية أسسها القرطاجيون استمدت أهميتها البحرية عند الفتح العربي. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، د ط، 1980م، ص 201.

[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 79.

[4]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 95.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 231.

[6]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 95.

[7]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 80

[8]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 235.

[9]- المصدر نفسه، ص 235.

وقد قام العزيز بمصالحة زناتة[1]، وأصهر ما خوخ وأنكحه ابنته[2]، لكي يزيل الذي نشب بينه وبين أسرة ماخوخ، واستمر العزيز في حكمه حتى توفي سنة 515هـ، الموافق لـ 1121م وولي من بعده ابنه يحيى[3].

9-يحيى بن عبد العزيز (515هـ547هـ/ 1125م-1156م):

بعد وفاة العزيز خلفه ابنه زكريا يحيى على العرش الحمادي[4]، وهو آخر ملوك بني حماد، كان مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد[5]، كانت الدولة في عهده قوية الجيش والأسطول فهاجم تونس واحتلها وولى عليها عمه كرامة بن المنصور[6] وما لبثت الدولة قوية حتى هاجمها عبد المؤمن بن علي الموحدي واحتل عاصمتها بجاية سنة 547هـ، بحيث يقول ابن خلدون: "أن الأمير يحيى الحمادي أخرج أخاه سبع للقاء الموحدين فانهزم وملك الموحدين بجاية"[7]، في حين يقول النويري أن جيش يحيى بن العزيز انهزم بدون قتال"، وهذا يدل على أن الأمير الحمادي كان متفقا مع عبد المؤمن.

وهكذا خسر آخر ملوك بني حماد عرشه ووطنه ولكنه لم يخسر حياة القصور بكل ما فيها وقد عاش ملك بدون مملكته حتى وافته المنية في أحد قصور عبد المؤمن من سنة 558هـ[8].

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 149.

[2]- المرجع نفسه، ص 149.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 235.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 91.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 235.

[6]- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، د ط، 1968م، ص 223.

[7]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 235.

[8]- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجابة، ص 225.

ثالثا: النظم الإدارية للدولة الحمادية:

1-الوزير:

اعتمدت الدولة الحمادية على الوزير في تولي شؤون الحكم العامة، وكان أكثر هؤلاء الوزراء من الحماديين[1]، يعني لم يكونوا من السلالة الصنهاجية[2]، وإن أول وزير حمادي ذكره المؤرخون هو الوزير محسن بن القائد الذي قتل عندما اعتلى بلقين بن محمد العرش ثم عين مكانه وزير بلقين بن محمد الذي يسمى خلف بن أبي حيدرة فكان بدون شك وزير سيف الذي قمع ثورة أهل بسكرة فقتله الناصر عندما تولى الأمر[3]، وعين مكانه أبا بكر بن أبي الفتوح.

وكان هذا الأخير وزير قاسم، حيث كان مكلفا بالمراسلة مع الأمير الزيري تميم، فقتله الناصر كما قتل باديس وزير أبيه المنصور عبد الكريم بن سليمان، ولم يذكر المؤرخون وزيرا للأمير العزيز، ولكن يمكن أن القائد علي بن ميمون الذي نصبه على العرش كان يقوم مقام وزير[4]. ثم عين يحيى بن العزيز الوزير ميمون بن حمدون الذي تآمر مع عبد المؤمن بطل الدولة الموحدية وغدر بدولته بعد خلافه مع الأمير يحيى بن العزيز[5].

2-ولاة الأقاليم:

كان الولاة في أغلب الأحيان من عائلة الأمير، وكان عددهم يتغير من أمير إلى آخر[6]، ففي عهد القائد بن حماد نجد هناك واليين هما أخواه يوسف والي المغرب، ويغلان والي سوق حمزة[7].

---

[1]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 206.

[2]– **الصنهاجية:** هي من أوفر القبائل، تنقسم إلى: لملونة، جدالة، مسوفة، لمطه، مسراته، تلداتة، مداسة، بنو وراث...الخ. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص 232.

[3]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 122.

[4]– المرجع نفسه، ص 122.

[5]– يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2004م، ج1، ص 41.

[6]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 207.

[7]– رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص 124.

وفي أيام المحسن يعرف والي ثالث وهو بلقين بن محمد والي أفريون ولم يذكر أسماء ولاة في عهد بلقين.

أما في عهد الناصر بن علناس فكان المغرب الأوسط ينقسم إلى ست ولايات ملیانة، سوق حمزة، ونقاوس وقسنطينة وأشير وأخيرا الجزائر ومرسى الدجاج اللتان كانتا بمثابة ولاية واحدة، فعقد الناصر لإخوته الأعمال التالية: كباب والي على ملیانة، ورمان والي على سوق حمزة، وأخيه خزر واليا على نقاوس، وبالبار على قسنطينة.

كما عقد الناصر لابنه عبد الأعلى على مدينة الجزائر ومرسى الدجاج ولابنه يوسف على أشير[1].

وبجانب هذه الولايات توجد ولايات أخرى كانت تابعة للدولة الحمادية وهي قسطيلة[2]، كانت تحت أمر الصنهاجي يوسف بن خلوف، وتونس كان واليها عبد الحق بن عبد العزيز بن الخرسان، وصفاقس التي كانت تحت أمر حمو بن مليل، وفي أيام المنصور بعد ثورة بلباز والي قسنطينة ثم تعيين أبى يكنى مكانه[3].

في عهد باديس بن المنصور عرف له والي اسمه سهام الذي كان من نكل بهم باديس[4] وفي عهد العزيز كانت قسنطينة تحت أمر ابنه سبع والذي بقي حتى في أيام يحيى بن العزيز وذلك إلى غاية وصول الأمير الزيري الحسن إلى المغرب الأوسط ثم أواخر عهد يحيى نجده ببجاية بينما كان إخوته الحسن والقائد وجيوش والحارث على رأس قسنطينة والجزائر وقلعة بني حماد وبونة[5].

---

[1]– إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجابة، ص 262.

[2]– **قسطيلة:** قطر كبير فيها مدن كثيرة، وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور مبني بالحجارة والطوب، وحولها أرباض من واسعة، ولها أربعة أبواب وعليها غابة كبيرة، وفيها العرب الذين سكنوا فيها من المسلمين عند استفتاحها، ومن البربر الذين دخلواها في قديم الزمان. ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 15.

[3]–رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 124.

[4]– عبد لحليم عويس، المرجع السابق، ص 207.

[5]– المرجع نفسه، ص 207.

وأصبحت تونس أيضا في عصر يحيى بن العزيز تحت قيادة ولاة من العائلة الحمادية ألا وهم: كرمة بن المنصور ثم أبو الفتوح بن كرامة ومحمد بن أبي الفتوح ومهد بن المنصور[1].

3- الإدارة المركزية:

كانت الإدارة المركزية الحمادية تشتمل على ديوان الإنشاء الذي يترأسه كاتب والذي ترجع أهميته إلى كتابة العهود والمواثيق والوصايا[2]، كما تشمل ديوان البريد[3].

أ- ديوان الإنشاء:

إن أول كاتب هو كاتب الناصر بن علناس الذي قتل في معركة سبيبة، فلم يذكر المؤرخون اسمه ولكنه يمكن أن يكون أخا الناصر وهناك كاتب آخر للأمير العزيز اسمه عمر بن فلفول[4]، حيث بقي كاتبا في أيام ابنه يحي على رأس ديوان الإنشاء.

كما يوجد كتاب آخرين كانوا في خدمة الأمير الحمادي الأخير يحيى بن العزيز ألا وهم: أبو عبد الله محمد الكاتب الذي كاتب أمراء بني هلال، باسم يحيى ليطلب منهم المساعدة بعد فتح بجاية من طرف الموحدين، وأبي مليح الطيب الذي كان كاتبا وشاعرا في نفس الوقت، وأبو القاسم عبد الرحمن[5].

ب-ديوان البريد:

بجانب ديوان الإنشاء كان للحماديين ديوان البريد، إذ كان الأمير في العهد الحمادي في حاجة إلى مكاتبة غيره من السلاطين والملوك[6]، ومن الضروري إذن أن يكون له ديوان

---

[1] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 225.

[2]– ابن خلدون، المقدمة، ص 306.

[3]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 122.

[4]– المرجع نفسه، ص 122.

[5]– المرجع نفسه، ص ص 122-123.

[6]– المرجع نفسه، ص 123.

الرسائل والبريد[1]، فقد وردت على أبي الفتوح بلقين وهو في المغرب الأقصى، رسائل من القاهرة قرأها وبعثها إلى عامله بالقيروان وكاتب العزيز بن المنصور ملوك زناتة وسالمهم[2].

بالإضافة إلى ذلك العلائم النارية المبنية على طريقة حكيمة[3] والدليل على ذلك وجود برج ببجاية اسمه شوف الرياض، في أعلاه آلة بالمرايا[4] تعكس الأضواء وتقذف بها إلى البعيد فتتلقى المراكز الموالية إشاراتها فتناقلها إلى سائر المراكز على هذا النحو، وهذا ما يعني أنها كانت تستعمل للمراسلة مع بروج مماثلة المبنية في المدن الرئيسية الأخرى، كما يمكن أنهم استعملوا حمام الزاجل مثل الزيريين[5].

4-القضاء:

كان حماد يحكم بنفسه في قضايا رعيته[6]، بحيث يذكر أبو عبيد البكري :"أن شيخا خرج مع امرأته وكانت شابة، يريد قلعة بني حماد فصحبه في بعض الطريق فتى شاب، كلف بتلك المرأة وكلفت به، فتوطأ على أن يدعي كل منهما زوجية الآخر، ويسقطا الشيخ، فلما وصل إلى القلعة شكى ذلك الشيخ إلى حماد ما داهمه من أمرهما ووصف له حاله معهما، فوقف الشابان فقرا على انكاحهما وأنكر ما يدعيه الشيخ فجعل حماد يباحث الشيخ، هل صحبهم في طريقهم أحد، وهل له شهود فقال: ما صحبنا في طريقنا أحد غير هذا الكلب، فاندلى لكلب كان معه، فأمر حماد الشيخ بربط الكلب بوتد كان هناك، ثم المرأة بحله فذهبت إليه فأرسلته، ثم أمرها فربطته، والكلب لا ينكر شيئا من ذلك، ثم قال للشاب قم فأرسل الكلب ثم أربطهن فلما هم بذلك نبحه الكلب وأنكرهن فقال للمرأة هذا زوجك الشيخ، وهذا الفاسق يخلفك عليه، فأمر بضرب عنق الفتى"[7].

---

[1]– محمد طمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 183.

[2]– ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 99.

[3]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 208.

[4]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 223.

[5]– المرجع نفسه، ص 223.

[6]– المرجع نفسه، ص 222.

[7]– أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 184.

إن هذه القصة تعكس مدى اهتمام الحماديين بالعدل والإنصاف وتطبيق الشريعة الإسلامية نصا وروحا بدون تحريف، وعلى هذا يمكن التأكيد أن أمير القلعة ثم بجاية هو الذي كان يعين القضاء في مملكة بني حماد[1].

أما بالنسبة للقضاة فلا يعلم متى عين حماد أول قاضي حمادي، كما سبقوا عبد العزيز، أما في عهد هذا الأخير أسماء قضاة الحماديين أبو قاسم بن عبد الرحمن وعبد الرحمن بن الحاج الصنهاجي قاضي بجاية[2]، وبجانب ذلك هناك أمرين يتعلقان بالقضاء الأمر الأول هو أن مناديا كان ينادي بالحدود التي كانت تطبق على المجرمين والأمر الثاني هو أن قاضي قسنطينة لم يكن يطبق الحدود الشرعية، لأنه كان يقضي على القاتل والسارق بالسوط، بدلا أن يقضي على الأول بالإعدام وعلى الثاني بقطع اليد[3].

5-النظام المالي:

تعددت مصادر الدخل لدى الخزانة الحمادية، وتدل الحياة الحربية التي عاشتها الدولة، كانت السمة الغالبة عليها وعلى أن الغنائم كانت تشكل مصدرا مهما، من مصادر دخل الدولة، فكانت الدولة تجني الخراج[4]، وتعتمد في جمعه على ولاة تعينهم، كما أن المدن التابعة للدولة والتي يعيش فيها الزناتيون أو غيرهم كانت تلتزم كذلك بدفع إتاوة معينة[5]).

أ- ضرب السكة:

يعتبر ضرب السكة شرطا أساسيا يحرص عليه الحكام الأقوياء والذي ينفذ من قبل أتباعهم، فكانوا لا يرضون إعلان الولاء فقط، ومن هنا كانت النقود الأداة الرئيسية والمهمة

---

[1]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 170.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 123.

[3]- المرجع نفسه، ص 123.

[4]- **الخراج:** هو ما يؤخذ على الأرض التي تزرع حبوبا ونخلا وعنا وفاكهة، وما يؤخذ عن المزارعين على سبيل الهدية. ينظر: محمد طمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 184.

[5] - المرجع نفسه، ص 184.

التي يعلن من خلالها الحاكم خضوعه لحاكم آخر، بهذا الخصوص أن الحماديين ضربوا السكة وأول من ضرب السكة باسمه من بني حماد هو الأمير منصور بن الناصر وضربوا العملة في عهد يحيى بن العزيز[1].

ب طرز السكة الفاطمية:

الواقع أن أمراء قلعة بني حماد والناصرية كانوا يضربون نقودهم بأسماء بني عبيد[2] إعلانا بتبعيتهم السياسية أو الاسمية على الأقل[3] وانطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية يبدو أن طراز الفاطميين في السكة كان يتكون من ثلاثة أنواع من النقود: الدينار الذهبي وأجزاءه، الفضي وأجزاءه، والنحاسي وأجزاءه، والظاهر أن بني حماد لم يستعملوا الدنانير الذهبية إلا في المناسبات النادرة جدا.

ب. **طرز السكة العباسية:**

استبدلت العملة الرسمية في المجتمع الحمادي في عهد يحيى ابن العزيز بسكة جديدة تمثل ملك وشخصية بني حماد، وكانت له خصائص منها ذكر اسم يحيى بن العزيز وهو أول أمير حمادي ينقش اسمه ولقبه على النقود منذ تأسيس الدولة الحمادية[4].

كما ضرب هذا الدينار على طراز الدنانير العباسية من حيث الشكل والحجم[5]، وقد وصفها لنا ابن خلدون قائلا: "إن سكة (يحيى) في الدينار كانت ثلاث سطور ودائرة في كل وجه"[6].

---

[1]– بومهلة تواتي، بجاية حضرة البحر ونادرة الدهر، دار المعرفة، الجزائر، د ط، 2010م، ص 46.

[2]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 230.

[3]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 212.

[4]– محمد طمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 186.

[5]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 369.

[6]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 363.

فدائرة الوجه الواحد كانت توجد الآية التالية: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1].

والسطور: لا إله إلا الله محمد رسول الله يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الأمير منصور.

ودائرة الوجه الآخر: بسم الله الرحمن الرحيم، ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة (543هـ/1148م)، وفي سطوره الإمام أبو عبد الله المقتضي لأمر الله أمير المؤمنين العباسي[2].

6-القوة العسكرية:

أ- الشرطة:

قامت الدولة الحمادية على أساس التفوق العسكري، والسيطرة العسكرية وظلت طوال تاريخها السياسي تعتمد على قواتها الذاتية في تصدي لغارات القبائل البربرية والدفاع عن حدودها السياسية[3]، وباعتبار أن هذه القوة العسكرية هي الركن الأساسي الذي تستند إليه الدولة عادة في تثبيت كيانها ورعايتها، ولهذا استعانت الدولة الحمادية بقوات الشرطة للمحافظة على شؤون الأمن[4] لكونها من أهم المناصب الإدارية[5]، وكان صاحب الشرطة من المقربين لدى الأمير حاكم البلاد، إذ تسهر الشرطة على حراسة الأسواق، والقلاع والحصون، وأبواب العاصمة ببجاية وتأمين طرق المواصلات وحماية الموانئ والسهر على

---

[1]- سورة الروم، الآية: 20-21.

[2]- صالح بن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائرية، دط، 1986م، ص 510.

[3]- عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 351.

[4]- المرجع نفسه، ص 358.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 311.

راحة التجار وقد عهدت الدولة إلى قبائل بني هلال بحماية الطرق الصحراوية مع بلاد السودان وما بين وصول البضائع والسلع وجباية الأموال والضرائب[1].

وكان أعوان الحرس الذين يقيمون في المحارس يقومون بدوريات مصحوبين بأسراب من الكلاب لفرض احترام منع التجول المعلن بواسطة الأبواق[2] وبهذا وفرت الدولة الحمادية لرعاياها الأمن مما ساعد على استقرار الأوضاع الداخلية في البلاد والضرب بقوة على أيدي قطاع الطرق والمعتدين على القوافل التجارية القادمة عبر الطرق الصحراوية[3].

ب- الجيش:

كان الجيش في بداية الدولة الحمادية، تحت أمر حماد الذي كان يستعين أخيه إبراهيم وبقائد اسمه عباد صادق[4]، كان الجيش يشتمل في البداية على عساكر من قبائل صنهاجية وعبيد يكونون حرس الأمير ثم ابتداء من عهد بلقين بن محمد أدخل الأمراء الحماديون وحدات زناتية وهلالية في صفوف جيشهم.

وكان عدد العساكر الذين يشاركون في القتال يتراوح بين عشرين ألفا وثلاثين ألفا، فمثلا حماد حشد قوات عسكرية تزيد عن ثلاثين ألف جندي عندما ثار على باديس وفي معركة سبيبة كان عدد جيش الناصر بن علناس "أربعة وعشرين ألفا"[5].

وعندما هاجم المنصور تلمسان كان معه "عشرين وثلاثين ألفا" ، فمثلا حماد حشد قوات عسكرية تزيد عن ثلاثين ألف جندي على باديس وفي معركة سبيبة كان عدد جيش الناصر بن علناس أربعة وعشرين ألفا[6]،وعندما هاجم المنصور تلمسان كان معه عشرين ألفا وقد بلغ عدد فرسان القلعة وحدها أيام الناصر اثني عشر ألفا فارس صنهاجي فضلا عن

---

[1]– عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 358.

[2]– الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 136.

[3]– عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 358.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 311

[5]– عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 351.

[6]– الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 144.

الجنود الموجودين في بقية المدن والمشاة والجنود الآخرين من غير صنهاجة[1]، أما فيما يخص تقسيم الجيش، فقد قسم الحماديون جيشهم إلى عدة فرق وهي كالتالي:

- **فرقة بني حماد:** تمثل القوة الضاربة للجيش، قوامها العناصر الصنهاجية وتكون طليعة الجيش، هي التي تبادر بالقتال، ولها القيادة العامة لكل الفرق الأخرى كونها أكبر الفرق العسكرية التي تدافع عن الدولة، وجزء هام من هذه الفرقة الخياطة وهي جيش نظامي وعلى دراية كبيرة بمختلف فنون القتال والحرب، وكان يقودها في الغالب الأمير أو من ينوبه من العائلة الحاكمة وقائد عسكري غير منتسب للعائلة الحاكمة[2].

- **فرقة السودان:** كان أمراء الدولة الحمادية يعتمدون على تجنيد فرق من عبيد السودان ويتخذون منهم حرسا خاصا يدين لهم بالولاء وقد استعان بهم بنو حماد، واشتركوا معهم في كل المعارك التي خاضوها، إذ كان أفواجها يحيطون بالأمير في قتاله[3].

- **الفرقة الأندلسية:** وتتكون من العرب والبربر الذين انتقلوا إلى بجاية بعد اتخاذها عاصمة ثانية سنة 460هـ/1057م[4]، بعدما ما سمح لهم الناصر بن علناس بالاستقرار بها بهدف الاستفادة من خبراتهم في المجال العسكري والبحري[5].

- **فرقة العرب:** تتكون هذه الفرقة من القبائل العربية الموالية للحماديين وقبائل بني هلال[6] الذين اشتركوا في القتال بجانب قوات بني حماد، بحيث شاركوا الهلاليين في الهجوم على حدود المغرب الأقصى والتوغل داخل حدود المغرب[7]، وكانت هذه الفرقة تحت قيادة الأمير نفسه أو قادة معنيين من قبله[8].

---

[1]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 359.

[2]– مختار حساني وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 10هـ 16م، دار القصبة للنشر، الجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007م، ص 71.

[3]– عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 353.

[4]– المرجع نفسه، ص 353.

[5]– موسى هيصام، الجيش في العهد الحمادي (405–547هـ/1014–1152م)، رسالة لنيل ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000–2001م، ص 120.

[6]– مختار حساني وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي، ص 72.

[7]– عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 354.

[8]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 125.

ج- الأسطول:

اعتمدت الدولة الحمادية على الأسطول في حماية الدولة من الغارات[1]، فكان للأسطول الحمادي نشاط كبير بعد تأسيس مدينة بجاية، لأن هذا الميناء كان مأمنا وواقعا في ناحية الغنية بالغابات والحديد هذا ما سمح لأهلها بإنشاء عدد كبير من المراكب التجارية والحربية، وبعد إدخال بونة في المملكة الحمادية[2]،

وفي عهد المنصور بن الناصر أصبح الأسطول الحمادي يلعب دورا في الحروب التي شنت بين المغرب الأوسط وإفريقية في عهد العزيز بن المنصور بحيث فتح جزيرة جربة، ومع ذلك القتال قامت القوات البحرية الحمادية عام 529هـ بقيادة قائد الأسطول مطرف بن علي بن حمدون، في عهد الحسن بن علي آخر سلاطين بني زيري في المهدية، بأن دفع يحيى بن العزيز الحمادي قائده بعد أن جهز له قوات بحرية فائقة العدد لكي يحاصر المهدية بحرا وبرا، وكان الأسطول كبيرا وعظيما، ولما أحس الحسن بن علي بالخطر الملحق به، ووقوع العاصمة في أيدي الحماديين[3]، فإنه اضطر إلى الاستعانة بالأسطول الصقلي وطلب من حاكم صقلية، أن يمده بأسطول بحري للدفاع عن كيانه مما جعل أسطول يحي بن العزيز يسرع بالرحيل إلى بجاية، وعندما فشل الأسطول في احتلال المهدية اتجه إلى تونس للسيطرة عليها، فقام بإخضاع أحمد بن عبد العزيز بن الخرساني، وأخذه أسيرا إلى بجاية[4].

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 208.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 128.

[3]- عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 357.

[4]- المرجع نفسه، ص 358.

المبحث الثاني: العلاقات السياسية للدولة الحمادية:

أولا: العلاقات الحمادية الزناتية:

كان الصراع شديدا بين بني حماد وزناتة بصفة عامة وأمراء فاس بصفة خاصة[1]، واستمرت العلاقات مع زناتة في التوتر في عهد القائد بن حماد الذي دخل في طور المشاكل الخارجية منذ سنة 430هـ ففي هذه السنة شن حمامة بن زيري أمير فاس هجوما زناتيا لاستيلاء على الجزء الغربي للمغرب الأوسط، ما دعى القائد بن حماد إلى محاربته فتمكن من التصدي لهجومه، فاستسلم الأمير الفاسي وطلب الصلح[2].

أما بلقين بن حماد فقد واصل عدم اهتمامه بزناتة حتى بعد ثلاث سنوات من توليه الحكم ففي سنة 450هـ/1058م، خرج إلى إقليم الزاب، لحرب زناتة فكسرها وقتل العديد من الزناتيين[3].

وفي أيام محسن بن بلقين بن محمد لم يقع أي حدث بين الزيريين وبني حماد[4]، ولكن بعد صعود الناصر بن علناس على العرش بدأت الهجومات تتعاقب على إفريقية، فانهزم في هجومه الأول في ناحية سبيبة، ولكن في غزوه الثاني فتح القيروان، ثم تصالح الناصر بن علناس مع الأمير الزيري تميم وتزوج انته بلاره[5].

أما في عهد المنصور ظهرت علاقته بالزناتيين في أواخر حكم أبيه حيث قام بمواجهة زناتة الذين تحالفوا مع بنو هلال[6].

---

[1]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 127.

[2]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 115.

[3]– المرجع نفسه، ص 121.

[4]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 129.

[5]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 143.

[6]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 234.

ولقد سار المنصور على نفس الدرب الذي مهده أبوه حماد فتزوج من ابنة ماخوخ زعيم بنو ومانو[1]، واستمر الوضع على حاله حتى أعلن بني ماخوخ ولاءهم للمرابطين مستغلين فتنة أبي يكنّى التي كان المنصور منشغلا بالقضاء عليها، فلما انتهت الفتنة غزاهم المنصور لكنه هزم أمامهم وكانت ردت فعله هي قتل زوجته أخت ماخوخ[2]، فهذا قد دفع ماخوخ إلى جمع بني ومانو وبني يلومي[3]، على دعوة المرابطين فخرج إلى المغرب الأوسط وحاصرها يومين حتى فتحت أشير[4].

أما في عهد العزيز فقد بدأ حكمه في التقرب من كل الأطراف الموجودة حيث بدأت علاقتها مع زناتة بالصلح وقد ذكر ابن خلدون: "أن العزيز صالح زناتة وأصهر ماخوخ وأنكحه ابنته إلا أن زناتة لم توقف عدائها بل كانت تنتظر الفرصة المناسبة للإغارة على الحماديين في عهد يحي الأمير الحمادي الأخير إلا أن وجودها انطفأ أثناء وصول الموحدين للمغرب الأوسط[5].

ثانيا: العلاقات الحمادية الزيرية:

تعود بدايات التوتر في العلاقات الزيرية الحمادية إلى فترة بناء حماد للقلعة سنة 398هـ، فأخذ يهيء ولايته لتحقيق مطامحه[6]، وقد تفطن ابن أخيه باديس بن منصور للأمر وأراد عرقلته فطلب منه أن يتنازل عن مدينة تيحبس وقسنطينة[7]، بعدما ضمهما لولايته، لولي ولي عهده المنصور بن باديس فامتنع حماد عن أوامر باديس، وألغى طاعته للعبيديين وراجع الدعوة للعباسيين، وهذا ما أدى إلى الصراعات والحروب العديدة بين حماد

---

[1]– **بنو مانو:** كانوا بالعدوة الشرقية من ميلة إلى أسفل شلف وظهر أمرهم بعد إجلاء صنهاجة لمغراوة. ينظر: مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 112.

[2]– المرجع نفسه، ص 628.

[3]– **بن يلومي:** كانوا مجاورين لبنو ومانو منافسين لهم إلا أن أغلبهم تفرقوا عن موطنهم. ينظر: المرجع نفسه، ص 212.

[4]– المرجع نفسه، ص 629.

[5]–المرجع نفسه، ص 629.

[6]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 172.

[7]–ابن خلدون، العبر، ج6، ص 228.

وباديس[1]، الذي اعترف بالدولة الحمادية كدولة مستقلة عن الدولة الزيرية وهذا بعد اتفاق الصلح وتزويج حماد ابنه عبد الله بأخت المعز[2]، واستمر هذا الصلح إلى غاية عهد القائد الذي دخل في حرب المعز بن باديس الذي سار إليه فحاصره في القلعة لمدة سنتين ثم منحه العفو[3].

أما الناصر بن علناس كانت علاقته سيئة مع أبناء عمومته خاصة، عندما قام تميم بإقناع بن رياح والزناتيين الذين كانوا متحالفين مع الناصر بالتخلي عنه والتي كانت آثارها هزيمة سبيبة، فإن هذا العداء بينهما أدى إلى تقوية العرب لذلك حزن الزيريين على المصير الذي وصلوا إليه هم والحماديين[4]، مما استدعى إبرام الصلح بن التميم والناصر في 470هـ1071م والتي سيحترمها الناصر إلى آخر حياته[5].

أما في عهد المنصور فكانت سياسته شبيهة بسياسة والده، فقد تلقى في بداية حكمه رسالة تهنئة وتعزية من طرف تميم بن المعز وهذا العمل يمكن أن يساعد على خلق التفاهم بين الطرفين إلا أن العلاقة ساءت فيما بعد بينهما[6]، وذلك بسبب تمرد تميم على المنصور الذي شارك في إغراء المرابطين بغزو بني حماد مما زاد من استياء هذا الأخير من أبناء عمومته فبادر برد فعل الثورة واستطاع تحقيق الفوز[7].

أما علاقة العزيز مع الزيريين كانت حسنة، امتازت بالهدوء، حيث اتبع طريق الصلح والتفاهم والزواج المصلحي ببنت الأمير يحيى بن تميم وذلك للعيش باطمئنان من جهتهم[8].

---

[1]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 228.

[2]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 112.

[3]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 204.

[4]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص 46–47.

[5]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 138.

[6]– المرجع نفسه، ص 141.

[7]– أحمد بن محمد أبو رزاق، الأدب في عصر الدولة الحمادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1979، ص 109.

[8]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 215.

أما في عهد يحيى بن العزيز فهو لم يهتم بأبناء عمومته الزيريين في محنتهم الأولى مع زناتة والثانية التي واجهوا فيها النورمان[1]، الذي ملك جميع البلاد الإسلامية في جنوب أوروبا، وعمل على الاستيلاء على المهدية والقضاء على بني زيري، بل انتهز الفرصة لضم مدن تونس وتمكن الأمير الزيري من فك الحصار على المهدية بعد أن استنجد بملك صقلية[2]، وبهذا فإن يحيى لم يقم بأي محاولة للتقرب من أبناء عمومته وإنما كان يهاجمهم بدلا من أن يمد يد العون لهم[3].

ثالثا: العلاقات الحمادية الفاطمية:

شهد المغرب الإسلامي سنة 405هـ أول خروج رسمي علني ضد الدولة الفاطمية من قبل حماد بن بلكين[4].

وبعد خلعه لطاعة الخليفة الفاطمي قام بفتح مدينة باجة، كما حرض سكان المغرب الأدنى على مناصري الفاطميين والشيعيين فقتلوا عددا كبيرا وذلك سنة 406هـ/1015م[5]، فانقطع ذلك الخيط الرفيع الذي كان يمنح الفاطميين هيبة رمزية ومن ناحية أخرى حاول الفاطميون الحفاظ على العلاقة مع الحماديين وهذا عن طريق التعاطي عن الكثير من مظاهر الخروج إذ كانوا يقابلونها بإرسال الهدايا وفي سنة 432هـ/1040م[6]، حاول القائد الحمادي الخروج على الفاطميين، وكان الخروج عليهم شعار يرفعه كل ثائر في المغربين الأوسط والأدنى.

---

[1]– **النورمان:** تعود بداية الوجود النورماني إلى جنوب إيطاليا حين ساءت الأوضاع في تلك المنطقة، وحين وصلت الأنباء إلى نورماندیا بفرنسا تشجع شباب النورمال إلى الهجرة إلى تلك المنطقة والتحقوا بجنود مرتزقة في جيوش أمرائها واستطاعوا التفاهم مع البابوية ليتجندوا على الحرب ضد المسلمين حتى دخلوا صقلية وهاجموا المهدية وغيرها. ينظر: ممدوح حسن وشاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1998م، ص ص 134-135.

[2]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 215.

[3]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 157.

[4]–ابن خلدون، العبر، ج6، ص 228.

[5]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 114.

[6]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 168.

هذا ما أدى بالمستنصر الفاطمي إلى تدبير أمر دخول القبائل العربية[1]، إلى إفريقية واستمالتهم إذ يقول ابن خلدون: "قام بإغرائهم بالهدايا الفاخرة فدخلوا إلى إفريقية كالجراد المنتشرة"[2].

أما بلقين بن محمد كان على طاعة العباسيين، فلما سقطت القيروان وخربت من قبل القبائل الهلالية اضطر ممثل الخليفة العباسي أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدريمي إلى مغادرة القيروان، وسار إلى قلعة بني حماد فشارك مع بلقين بن محمد في عدة غزوات وهذا يدل على ميول بلقين السياسي نحو العباسيين[3].

ويقول ابن عذارى المراكشي: "أن العلاقات الحمادية الفاطمية في عهد الناصر والمنصور وباديس والعزيز، أنهم من أتباع الفاطميين والقائمين على دعوتهم"، أما في عهد يحيى ابن العزيز، فيشير ابن عذارى المراكشي إلى وجود علاقات الحماديين بالفاطميين فيقول: "أن يحيى بعث هدية للخليفة الفاطمي في سنة 536هـ-1141م/1142م) [4].

في حين آخر يذكر ابن خلدون في كتابه "العبر":"أن الأمير الحمادي استحدث السكة وضربها في اسم العباسيين"[5].

وهذا يدل على أن يحي كان قد خضع للفاطميين في بداية عهده ثم خلعهم وخضع للعباسيين بعد سنة (536هـ1141م/1142م) [6].

---

[1]- **القبائل العربية:** يعود أصلهم إلى بني هلال بن عامر بن صعصعة في نسبها إلى قيس عيلان بن مضر كانوا في جبل مغراوة عند الطائف. ينظر: عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي في الجزائر، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007م، ص 13.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 278.

[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 55.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 312.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 278.

[6]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 312.

رابعا: العلاقات الحمادية المرابطية:

ظهرت العلاقات السياسية بين الحماديين والمرابطين أيام بلقين بن محمد الأمير الحمادي، وكان المغربان الأوسط والأدنى يتعرضان لغزو كبير من قبل القبائل العربية[1].

فبرزت مطامع المرابطين نحو الحماديين بحجة أن بعض بطون زناتة لجأت إلى الدولة الحمادية، فرأى المرابطون أن يقضوا عليهم ويضعوا لهم حدا[2] هذا من جهة،ومن جهة أخرى الاستيلاء على المغرب الأوسط، يمثل عاملا من عوامل أمن الدولة المرابطية بالإضافة إلى أن المغرب الأوسط كان يتحكم في الطريق الموصل إلى المغرب الأقصى.

وكان يوسف بن تاشفين يرغب في التوسع والتوحيد، فاندفعوا نحو الشمال ونجح بن تاشفين في توحيد المغرب الأقصى من سجلماسة[3] إلى طبنة وحدود تلمسان والجزائر وإخضاع شيوخ القبائل لطاعته، ولم يبق الحماديون مكتوفي الأيدي بل قاوموهم، ولم يتروعوا عن استخدام القبائل العربية، وزناتة ضدهم واستطاعوا أن يحرسوا ملكهم من زحف المرابطين[4].

وبعد سقوط سجلماسة، والاستيلاء على المصامدة[5]، من قبل المرابطين أدرك الأمير الحمادي بلقين بن محمد أن الخطر وشيك، فزحف إلى المغرب الأقصى سنة 453هـ 1061م فاضطر المرابطون إلى الفرار نحو الصحراء.

---

[1]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 180.

[2]– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د ط، د ت، ص 253.

[3]– **سجلماسة:** هي صحراء المغرب وهي أعظم مدنه وعلى أطراف الصحراء وأهلها من أغنى الناس وأكثرهم ما لا، لأنها على طريق غابة التي بها معدن الذهب. ينظر: عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: حسان عباس، مكتبة لبنان، د ط، 1975م، ص 305.

[4]– أحمد شبلي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1963م، ج4، ص 198.

[5]– **المصامدة:** وهم من ولد مصمود بن يونس بربر فهم أكثر القبائل البربرية، وأوفرهم من بطونهم بورغواطة وغمارة، وتحتل بعض بطونها سهول الساحل الأطلسي والبعض الآخر تحتل أقاليم الأطلس الكبرى والصغرى. ينظر: حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، 1957م، ص 34.

أما في عهد الناصر بن علناس فتميزت العلاقات بين الطرفين بالهدوء والاستقرار ولم تقع أي أحداث[1].

وفي عهد المنصور بن الناصر وقعت حروب عنيفة وتجدد الصراع بين سنتي 494هـ-497هـ/ 1013-1101م)، حيث استطاع الحماديون تحقيق أهم انتصار في معركة تلمسان (494هـ/1102م) [2]، وقد اتبع المرابطون سياسة التحالف مع القبائل العربية ضد الحماديين، فاسترجع المرابطون تلمسان، وفي عام 497هـ1104م) زحف المنصور إلى تلمسان في جيش قوامه عشرون ألف عسكري من صنهاجة وبني هلال وزناتة[3].

أما ابن الخطيب فيقدرها باثني عشر حملة[4]، وبالفعل حقق الحماديون نصرا كبيرا مكنهم من استرجاع تلمسان وفتحها، فخرجت إليه حواء زوجة تاشفين متذممة راغبة في البقاء، فأكبر قصدها إليه وأكرم موصلها وأفرج عنهم وأثنى راجعا إلى القلعة[5].

فكان لهذا الانتصار بعدا مهما هو وضع حد نهائي لتهديد المرابطين لحدود الدولة الحمادية الغربية، فلم يعد المرابطون يفكرون في الاصطدام بجيرانهم خاصة الحماديين وكان همهم الوحيد هو المحافظة على الأراضي التي بين أيديهم[6].

فوجد الحماديون أن المرابطين لم يعودوا خطرا كبيرا عليهم فتحسنت العلاقات بينهم وبقيت على هذا النحو بحيث حارب عساكر بجاية الموحدين بجانب المرابطين بمدينة تلمسان في أيام يحيى بن العزيز [7].

---

[1]- موسى هيصام، المرجع السابق، ص 122.

[2]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 97.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 290.

[4]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 97.

[5]- عبد الحميد حاجيات وموسى لقبال وآخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م، ص 208.

[6]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 182.

[7]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 425.

خامسا: العلاقات الحمادية مع الأندلس (ملوك الطوائف):

ظهرت الدولة الحمادية على الساحة السياسية لبلاد المغرب سنة 408هـ/1018م، في حين كانت الأندلس تشهد انهيار السلطة المركزية للدولة الأموية منذ سنة 407هـ 1017م[1]، وهذا الضعف تحول فيما بعد إلى فرق داخلية عرفت بملوك الطوائف[2]، وعند بداية دولة الموحدين كان من الطبيعي أن لا نتوقع علاقات خارجية يمكن أن تربط بينهما بصورة مستقلة وواضحة، إذ أن ملوك الطوائف كانوا منهمكين في صراعاتهم الداخلية ومنشغلين في صد الخطر المسيحي، إلا أن هناك عاملين يساعدان في الكشف على وجود بعض العلاقات السياسية بينهما، الأول هو أن الحماديين كانوا يخضعون للسياسة الفاطمية الشيعية في القاهرة، بينما في الأندلس كانوا معادين للشيعة.

والثاني أن زناتة التي حاولت أن تعتمد على بني عامر[3]، في الأندلس ضد صنهاجة قد أغلقت وجود أي اتصال مع الأندلس والحماديين سياسيا بعد سقوط الدولة الأموية تفكك الأندلس لم يكن للحماديين أي علاقة سياسية مع ملوك الطوائف بسبب انشغال هذه الأخير بالصراعات الداخلية[4].

ولما تبين لملوك الطوائف أن النصارى يرغبون في القضاء عليهم، فطرقوا أبواب المرابطين بالمغرب الأقصى، واستنجدوا بهم فحافظ المرابطون على الوجود الإسلامي بالأندلس، لكن النكبات توالت بسبب قوة الإسبان مما أدى بهم للهجرة نحو المغرب خاصة

---

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 117.

[2]– **ملوك الطوائف:** هي فترة تاريخية في الأندلس بدأت بحدود عام (422هـ/1031م) ولما عين الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية في الأندلس مما حدا بكل أمير من أمراء الأندلس ببناء منفصلة وتأسيس أسرة حاكمة من أهله وذويه. ينظر: راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2011م، ج1، ص 185.

[3]– **بني عامر:** تنتسب إلى عامر بن معصمة بطن من بطون قبيلة هوزان القيسية المضرية العدنانية تنتشر في الحجاز والعراق والمغرب العربي وقد تولت وزارة الأمويين بالأندلس. ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 23.

[4]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 184.

بعد سيطرة الإسبان على طليلطة عام (478هـ/1085م) ويقول ابن عذارى: "خرج منها الخاص من أهلها والعام"[1].

ومن جهة أخرى معركة الزلاقة[2] (479هـ/1087م) حققت انتصارا كبيرا للمسلمين وقد أدرك يوسف بن تاشفين أنه لا فائدة من وجود ملوك الطوائف واتخذ قرار بإسقاطهم ومواصلة الجهاد.

مما أدى إلى هجرة واسعة للأندلسيين نحو المغرب الإسلامي، منها المغرب الأوسط خاصة بجاية التي شهدت توافد كبير منهمك، ومن بين من لجأ إليها معز الدولة الواثق أبو محمد عبد الله بن المعتصم بن صمادح حاكم آلمرية الذي أنقذه أبوه في آخر دولته بعد أن أرسله رسولا إلى يوسف بن تاشفين فاعتقل، وقيد فكتب إليه أبيه فخلصه وهرب به إلى البحر، قصد معز الدولة بجاية[3]، فأقام بها تحت رعاية الناصر بن علناس الحمادي وأنزله تنس من أعماله الغربية"[4].

ويقول ابن خلدون: "ولقد قدم على المنصور أيضا معز الدولة بن صمادح ن آلمرية فارا أما المرابطين لما ملكوا الأندلس فنزل على المنصور أقطعه تدلس وأنزله بها"[5].

فوجد لأندلسيين ترحيبا من قبل الأمراء الحماديين ومنهم من احتل مكانة سياسية هامة[6]، بحيث وظفوه في السلك الإداري وشؤون الإمارة ببجاية، وهذه الوظائف لم تكن متيسرة لولا الكفاءة التي برهنوا عليها، والمستوى العلمي الذي كانوا عليه، والإخلاص الذي عرفوا به ولعل هذا ما جعلهم يشكلون طبقة متميزة كان لها خطوة لدى أمراء الحماديين.

---

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 384.

[2]– **معركة الزلاقة:** أو معركة سهل الزلاقة وقعت سنة 479هـ/ 23 أكتوبر 1086م بين جيوش دولة المرابطين متحدة مع جيوش المعتمد بن عباد والتي انتصرت على جيوش الصليبيين بقيادة الملك الفونسو السادس، وكان لها تأثير كبير في تاريخ الأندلس، حيث أنها أوقفت زحف النصارى في أراض ملوك الطوائف وأخرجت سقوط الدولة. ينظر: راغب السرجاني، المرجع السابق، ج1، ص 159.

[3]– أبو النصر الفتح الإشبيلي المعروف بابن حقان، قائد العقبان ومحاسن الأعيان، تح: حسن يوسف، مكتبة الآبار، الأردن، ط1، 1989م، ص 63.

[4]– المصدر نفسه، ص 63.

[5]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 292.

[6]– مختار حساني، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي، ص 207.

ويمكن القول أن الأندلسيين وطيلة حكم الحماديين لم تكن لهم سياسة خارجية ذات شأن في عهد ملوك الطوائف بفعل صراعاتهم الداخلية فبعد عهد ملوك الطوائف فقدوا السيطرة على علاقاتهم الخارجية، وعلى الرغم من ذلك فإن الحماديين قد مثلوا للأندلس ملجأ سياسي هام[1].

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 183.

المبحث الثالث: الواقع المذهبي وسقوط الدولة الحمادية

أولا: الواقع المذهبي:

يجدر بنا الإشارة في هذا المبحث إلى أن ابن خلدون لم يهتم بالجانب الديني للدولة الحمادية إلا أن ذلك لا يعني أن الدولة الحمادية لم تقوم على مذهب أو عقيدة دينية بل لها عقيدة خاصة بها، وهذا ما أشارت إليه بعض المراجع التاريخية بحيث أن المادة العلمية في هذا الجانب كانت شحيحة جدا.

قطع حماد بن بلقين مؤسس الدولة الحمادية دعوة الفاطميين وأظهر السنة، وقد سار القائد بن حماد الذي ولي بعد سنة 419هـ على نفس النهج الذي اختطه أبوه في الخروج على طاعة الفاطميين فسار الحماديون بعامة على نفس الطريق وتبعهم الزيريون، فلم يهتموا بالمذهب الشيعي وإنما استغلوه سياسيا[1].

فكان المذهب المالكي هو المذهب السائد في الدولة الحمادية ومع ذلك فلا يوجد ما يقطع بأن الدولة الحمادية، كانت تخلو من بعض الفرق الدينية الأخرى[2]، فنجد في عهد بني حماد بالمغرب الأوسط: شيعيين وسنيين وإباضيين[3].

أ- الشيعيون:

إن كتامة الذين كانوا قد ساعدوا الفاطميين في فتحهم للمغرب كانوا قد اعتنقوا المذهب الشيعي لذلك يمكن القول أن سكان القبائل الصغرى كانوا في أغلبيتهم على المذهب

---

[1]- عبد الحليم، المرجع السابق، ص 252.

[2]- المرجع نفسه، ص 252.

[3]- المرجع نفسه، ص 252.

الشيعي، ولكن عندما فتح الفاطميون مصر وغادروا إفريقية رافقهم عدد كبير من كتامة ولم يبق منهم إلا عدد قليل[1].

ب- السنيون:

كانت أغلبية زناتة على المذهب السني لأنهم كانوا في أول الأمر في خدمة الخليفة الأموي الأندلسي، كما كانت كتامة في خدمة الفاطميين، وبمدينة بسكرة على المذهب المالكي بينما كان أهل تهودة على المذهب الحنفي[2].

ج- الإباضيون:

كان الإباضيون موجودين بباغاية وتاهودة وإحدى مدن مدراتة قرب ورقلة، حيث لجأ الرستميون بعد فتح تاهرت ومن طرف الفاطميين.

ثانيا: سقوط الدولة الحمادية:

نظر ابن خلدون للدولة على أنها كائن حي يولد وينمو، ثم يهرم ليفنى، فللدولة عمر مثلها مثل الكائن الحي تماما، حيث يقول في مقدمته: "...أما أعمار الدول، أيضا وإن كانت تختلف بحسب القرانات إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال..." [3]، وقد حدد ابن خلدون عمر الدولة بمائة وعشرين عاما، لأنه يرى أن العمر الطبيعي للأشخاص كما زعم الأطباء والمنجمون مائة وعشرين عامات، ولا تعدو الدول في الغالب هذا العمر إلا أن عرض لها عارض آخر من فقدان المطالب[4]، مستشهدا بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 163.

[2]- المرجع نفسه، ص 164.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص 180.

[4]- المصدر نفسه، ص 180.

خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1] وتتكون الدولة من ثلاثة أجيال كل جيل عمره أربعون سنة، حيث يقول ابن خلدون: "الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف الى الخصب و الترف ، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به، وأما الجل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة الغز والعصبية..." [2].

وقد ضرب ابن خلدون أمثلة لأعمار الدول على بعض الدول مثل: (المرابطين، والموحدين، والمرينيين بالمغرب، وملوك الطوائف في الأندلس والحمدانيين في حلب)، حيث شبه الدولة بالهرم له ثلاث أوجه، إذ يقتضي الوجه الأول الانفراد بالمجد، وهو مرحلة التأسيس ويكون فيه السلطان جديد العهد بالملك، لذا فهو لا يستغني عن العصبية، إنما يعتمد عليها لإرساء قواعد ملكه فيكون حكم في هذه المرحلة مشتركا نوعا ما بين لملك وبين قومه وعشيرته، وتتميز الدولة في هذه المرحلة ببداوة المعيشة وبانخفاض مستواها، ويشترك الجميع في الدفاع عن الدولة لوجود الشجاعة والقوة الدينية[3].

أما الوجه الثاني أن طبيعة الملك تقتضي الترف، حيث تبلغ الدولة قمة قوتها ويتفرع السلطان لشؤون الجباية وإحصاء النفقات والقصد فيها، ولتخليد ملكه يبني المباني العظيمة الشاهدة على عظمته، وفيما يخص الوجه الثالث والأخير إذ يمتاز بالإسراف والتبذير، ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمعه أسلافه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على

---

[1]– سورة الأعراف، الآية: 32.

[2]– ابن خلدون، المقدمة، ص 180.

[3]– المصدر نفسه، ص 178.

بطانته فيكون مخربا لما كان سلفه يؤسسون، وهادما لما كانوا يبنون، حيث يحصل في الدولة طبيعة الهرم وبذلك تسقط الدولة[1].

وحسب نظرية ابن خلدون للدولة فإن الدولة الحمادية مرت على هذه المراحل مرحلة النشأة والتأسيس، مرحلة القوة والازدهار، ومرحلة السقوط والاضمحلال.

بعد القضاء على الدولة المرابطية فكر عبد المؤمن في السيطرة على أراضي الدولة الحمادية، فتظاهر بأنه يريد الأندلس، حيث توجه إلى سبتة منها انطلق إلى بجاية، فدخل الجزائر على حين غفلة وخرج إليه الحسن بن علي آخر ملوك بني زير، واعترضته جيوش الصنهاج، فهزمهم وصبح على بجاية فدخلها[2]، في حين أن الحماديين انغمسوا في حياة الترف، فكان يحيى بن عبد العزيز منشغلا في اللهو تاركا أمور المملكة بيد وزيره ميمون بن حمدون[3]، المتعاون مع الموحدين والذي فتح لهم أبواب بجاية فدخلها عبد المؤمن سنة 547هـ وتفرقت جيوش يحيى برا وبحرا[4].

ويذكر النويري أن حمدون انهزم بدون قتال[5]، وفي أثناء ذلك كان يحيى يقضي أياما بأساء قلقة، حتى أنه خرج هاربا من أسطولين كان قد أعدهما لذلك، واحتمل فيهما ذخيرته، وأمواله، وحمل معه كل ما هو ثمين، إلى جانب أقرباء عمه وأفراد عائلته، فتوجه بهم إلى بونة ومنها إلى قسنطينة محاولا التحصن بها بشدة تحصيناتها الطبيعية، لكن القوة الموحدية لم تسمح له بذلك، حيث عملت على مطاردته عندما رأى أنه لا يستطيع أن يحافظ عليها طلب الأمان من عبد المؤمن[6]، أما عبد المؤمن بن علي وبعد فتحه لبجاية استمر في سيره

---

[1]–ابن خلدون، المقدمة، ص 179.

[2]– حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ج2، ص 31.

[3]– سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص 599.

[4]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 196.

[5]– النويري، المصدر السابق، ج2، ص ص 204، 206.

[6]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 364.

زاحفا إلى قلعة بني حماد، فلما رأى أهلها الجيش الموحدي هربوا منه إلى رؤوس الجبال، وأخذوا ما فيها من مال وغيره [1]، ويقول ابن خلدون: "أن جيش عبد المؤمن كان تحت قيادة ابنه عبد الله فتح القلعة وأضرم النار في مساكنهم، وقيل أن عدد القتلى بلغ 18 ألف، من بينهم جوشن ابن العزيز، وأن أيدي الموحدين امتلأت من الغنائم، كما أن استسلام يحيى في قسنطينة يعتبر من الناحية السياسية إعلان لسقوط الدولة الحمادية وإبعادها عن مسرح التاريخ"[2].

[1]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 23.

[2]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 365.

أما يحيى بن عبد العزيز انتقل مع عائلته إلى مراكش، حيث وجد ترحابا من قبل عبد المؤمن، وأصبح من بين الذين يستشيرهم على الرغم من أنه أساء لعبد المؤمن[1].

على الرغم من أن الدولة الحمادية لم تعمر طويلا، إلا أنها تركت بصمتها في سجل التاريخ، وتجلى ذلك من خلال الآثار العمرانية التي بقيت شاهدة على ذلك.

.

[1]– حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ص 30.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية والثقافية

والاقتصادية للدولة الحمادية

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية للدولة الحمادية

المبحث الثاني: الحياة الثقافية للدولة الحمادية

المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية للدولة الحمادية

تمهيد:

نالت الدولة الحمادية في المغرب الأوسط دراسات مختلفة في مختلف الجوانب من قبل عدة مؤرخين، هذا ما دفعنا لدراستها من خلال كتاب العبر لابن خلدون، هذا الأخير الذي قدم لنا دراسات مهمة حول هذه الدولة خاصة الجانب السياسي والإداري والعسكري والذي تم عرضه في الفصل الأول، حيث يجدر بنا الإشارة بأن ابن خلدون أهمل بعض الجوانب عن الدولة الحمادية كالجانب الاقتصادي والعمران، بحيث أشار إلى ذلك فقط دون تفصيل، وقد يعود السبب في ذلك إلى أنه متأخرا أو أنه اهتم بالجانب السياسي أكثر في كتاباته، وتأثر به، وفي غالب الأمر يبدو السبب في ذلك مجهولا، لكن الدولة الحمادية حظيت بدراسات عديدة من خلال الكثير من المؤرخين والباحثين منها الشاملة عامة للدولة الحمادية ومنها ما تختص بجانب منها فقط.

وفي هذا الفصل سنحاول الإلمام بالجوانب التي أهملها ابن خلدون عن الدولة الحمادية من خلال المصادر والمراجع الأخرى.

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية للدولة الحمادية

أولا: عناصر المجتمع:

1-البربر:

البربر جيل عظيم من الناس وقد اختلف في نسبهم اختلافا كثيرا، فذهبت طائفة من النسابين إلى أنهم من العرب، ثم اختلف في ذلك فقيل أوزاع من اليمن، وقيل من غسان، وغيرهم تفرقوا عند سبيل العدم وقيل خلفهم أبره ذو المنار أحد تبابعة اليمن حين غزا المغرب وقيل من ولد قبط بن حام بن نوح، وقيل أخلاط من كنعان والعماليق[1]، وقيل من حمير ومصر، والقبط[2]، وقيل من بقية قوم جالوت، لما قتل هرب إلى المغرب فحصلوا في جبالها[3]، وغيرها.

ويقول ابن خلدون: "وهي على كثرتها ترجع إلى أصلين لا تخرج عنهما، وهم الأول: البرانس، وهم بنو برنس بن بربر، والثاني: البتر، وهم بنو مادغش الابتر بن بربر"[4].

وقد وقع تباين في الآراء حول أصل هذا التقسيم بتر، وبرانس ويبدو أنه يعود في حقيقته إلى الكلمتين اليونانيتين Batros والتي تعني البدو، ثم Beranos التي يقصد بها أولئك الذين اختاروا حياة الاستقرار[5].

---

[1]– القلقشندي أبو العباس أحمد، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت، ص 118.

[2]– القلقشندي أبو العباس أحمد، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1982م، ص 34.

[3]– القزويني زكريا محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، ص 163.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 117.

[5]– بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ج1، ص 89.

وبالفعل فقد بلغ على البرانس الاستقرار في القرى الساحلية والتلية والجبلية، بينما غلب على البتر إخوانهم عموما طابع البداوة فيظغنون لانتجاع المرعى الخصيب والماء الكثير[1].

ومن أهم القبائل البربرية التي كانت تتواجد بالمغرب الأوسط عامة والدولة الحمادية خاصة نذكر:

أ. صنهاجة:

بنو صنهاجة بطن من البرانس من البربر، مساكنهم ببلاد المغرب، وهم بنو صنهاجة من برنس بن بربر، ويقال بنو صنهاج بن أوريح بن برنس بن بربر، ويقال أنهم من حمير[2] من عرب اليمن وليسوا من البربر، ويقال أيضا: أن صنهاج إنما هو ابن امرأة اسمها بصلي وليس له أب معروف، وإنما تزوجت بأوريح وهو معها فولدت له هوازن فكان صنهاجة أخا لهوازن لأمه[3].

وهذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد، وما بعده لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البربر، وكان لهم في الردة ذكر وفي الخروج على الأمراء شأن، أما نسبهم فإنهم من ولد صنهاج وهو عند نسابة البربر من بطن البرانس من ولد برنس بن بر[4]، ويرى آخرون من أمثال الطبري أنهم من حمير من بني فريقيش بن صيفي بن سبأ[5].

يبقى نسب صنهاجة على الرغم من الدور الخطير الذي لعبته في تاريخ المغرب الإسلامي يكتنفه الغموض[6]، إلا أن الرواية التي يرويها ابن خلدون عن المحققين من نسابة

---

[1]– موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط21، 1981م، ص 17.

[2]– السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر، تاريخ السودان،دن، باريس، د ط، 1981م، ص 25.

[3]– القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص 317.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 201.

[5]– الطبري أبو جعفر محمد بن حرير، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، د ت، ج1، ص 207.

[6]– بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج2، ص 154.

البربر مفادها أن صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن قيمتا بن سدرو بن مولان بن مصلين بن يبرين بن كسيلة بن دقيوس بن حلحال بن شرو بن مصر يم بن حام[1].

وصنهاجة شعب كبير جدا ذكر أن قبائلهم وبطونهم تنتهي إلى سبعين وهم موجودون بكل مكان في المغرب لا يكاد يخلو منهم جبل ولا بسيط وقد تواجدوا من أرض المغرب الأوسط بالناحية الواقعة بين بجاية والمسيلة ومليانة ولمدية والبحر[2].

ب. زناتة:

من أهم القبائل البترية التي لعبت أدوارا مهمة في تاريخ المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة باعتباره من أهم مواطنهم التي سكنوها واستقروا بها وهم من الكثرة إلى حد أصبحوا فيه في مرتبة قبائل أو شعوب، يحتلون مراتب أعلى من مرتبة بطن[3].

ومضاربهم بالمغرب الأوسط بالمسيلة، وبسكرة وجبل أوراس، ونقاوس، وطبنة، وباغايا وسطيف وعلى الطريق التي تؤدي من أشير إلى تنس[4]، وبين تاهرت وتلمسان[5].

أما نسب زناتة بين البربر فلا خلاف بين نسابتهم أنهم من ولد زانا (أوشانا أو جانا)[6]، وإليه نسبهم وأما شانا فقال أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة: زناتة هو شانا بن يحيى بن صولات بن ورتناج بن ضري بن سقفو بن جنذواذ بن يملا بن مادغس بن هوك بن هرقس بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح النبي عليه السلام"[7].

---

[1]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 201.

[2]– عبد الوهاب منصور، المرجع السابق، ص 329.

[3]– المرجع نفسه، ج1، ص 154.

[4]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 159.

[5]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 200.

[6]– المصدر نفسه، ص ص 159–160.

[7]– بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج1، ص 154.

وقيل جانا ابن يحيى بن ضريس بن جالوت بن هربك بن جديلات بن جالود بن رديلات بن عصى بن بادين بن رحيك بن مادغش الأبتر بن قيس عيلان بن مضر مما يجعلهم من العرب المستعربة، وبعضهم يقول: جالوت بن جالود بن ديال بن قحطان بن فارس فتكون من الفرس [1].

وقد تسنمت زناتة ذروة الملك في الإسلام مرات عديدة فمنهم بنو مدرار ملوك سجلماسة وخلفاء الموحدين، وبنو مرين ملوك فاس، وبنو عبد الواد ملوك تلمسان وسواهم[2].

ت. كومية:

كانت تعرف في القديم باسم صطفورة من بني فاتن بن تامصيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس الأبتر[3]، يخبرنا صاحب المعجب عنها فيقول: "وهي قبيلة كثيرة العدد جمة الشعوب لم يكن لها في قديم الدهر ولا في حديثه ذكر في رياسة. ولاحظ من نباهة إنما كانوا أصحاب فلاحة، ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب..."[4]، ولكومية ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم وهي ندرومة ومغارة وبنو يلول[5].

وقد كانت مواطن كومية الأولى في المغرب الأوسط وبالتحديد ضمن منطقة أرشقول وتلمسان، وذلك على امتداد شاطئ البحر وجبال ترارة، ولما استولى الموحدون على مراكش واتخذوها حاضرة لسلطانهم استدعى عبد المؤمن على قبيلة كومية، إلى تلك الربوع، ليكونوا درعا له، وعصابة يشد بها أزره[6].

---

[1]– ابن حزم أبو محمد علي بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تح: ليفي بروفينسال، دار المعارف، مصر، د ت، ص 461.

[2]– عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ج1، ص 311.

[3]– الناصري أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1954م، ج2، ص 89.

[4]– عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 2005م، ص 423.

[5]– بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج1، ص 98.

[6]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 161.

ث. مطماطة:

وهم من بني فاتن، واسم مطماط مكاسب وهم إخوة مطغرة ولماية من ولد فارس تمطيت، ولهذا الحي بطون كثيرة جدا منتشرة في ربوع المغرب، وإفريقية وقد كان لمطماطة دور هام في المغرب في عهد الدولة الزيرية، حيث استفحل أمرهم في أواخر الدولة وظهر أثرهم جليا خلال فتنة حماد بن بلكين، معباديس بن المنصور، وموطنهم بالمغرب الأوسط بتلول منداس عند جبل وانشريس وجبل كزول من نواحي تاهرت[1].

ج. كتامة:

قال عنهم ابن خلدون "هذا القبيل من قبائل البربر بالمغرب، وأشدهم بأسا وقوة وأطولهم باقي الملك عند نسابة البربر من ولد كتام بن برنس[2].

وقد ساعدتهم كثرتهم واعتزازهم بها في النأي بجانبهم عن تعسف الدولة إلى أن قامت دولة العبيديين وما كان لهم فيها من باع، إلى أن ارتحلوا إلى المشرق فملكوا الإسكندرية ومصر والشام واختلطوا القاهرة أعظم الأمصار بمصر وارتحل المعز رابح خلفائهم فنزلها وارتحلت معه كتامة على قبائلهم واستفحلت الدولة هنالك ولم يبق في مواطنهم الأولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط إلا بقايا من قبائلهم على أسمائها وألقابها والآخرون بغير لقبهم وكلهم رعايا معبدون للمغارم إلا من اعتصم بالحبال مثل بني زيدو بجبلهم وأهل جبال جيجل وزواوة أيضا في جبالهم[3].

وقد اختلفت الآراء حول الأصل الأول لكلمة كتامة، فرأي يقول بأنها اسم علم لشخص ينتسب إليه أبناء هذه القبيلة، وقائل بعلاقتها بمعنى الكتمان، وقائل آخر بعلاقتها بشكل ما، مع كلمتي الكتيم التي أطلقها ابن خلدون على سكان إيطاليا عند احتكاكهم بالقرطاجيين أو القطيم التي ترمي إلى معنى ينسجم مع الشذوذ الخلقي[4].

---

[1]– بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج1، ص 154.

[2]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 195.

[3]– المصدر نفسه، ص 196.

[4]– بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج2، ص 142.

2-العرب:

العرب هم أوضح الأمم نسبا وأبعدهم عن الامتزاج والاختلاط وقد أجمع النسابة على أن نسبهم يرجع إلى سام بن نوح عليه السلام، نزحوا من العراق واستقروا في شبه الجزيرة العربية في عصور متفاوتة واتخذوها موطنا حفظوا به أنسابهم من الاختلاط وحافظوا عليه من الاندماج المفضي للاضمحلال[1]،وهم يرجعون إلى ولد ثلاثة رجال: وهم عدنان وقحطان وقضاعة[2]، وينقسم العرب إلى ثلاثة طبقات: عرب بائدة وهم المتناهون في القدم أطلقت عليهم هذه التسمية إما لبيود أخبارهم وإما لبيود قبائلهم وفناء أعقابهم بدو بأنهم فيمن بعدهم من أجيال العرب[3]، وعرب عاربة وهم لعرب الخلص[4]، وهم على حسب ابن خلدون "العرب الأول فهمهم الله اللغة العربية ابتداءا فتكلموا بها فقيل عاربة إما بمعنى الرسوخ في العربية، وإما بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها"[5].

أما المستعربة فهم الداخلون في العروبية بعد العجمة، أخذ من استفعل بمعنى السيرورة، نحو استنوق الجمل إذا صار في معنى الناقة لما فيه من الخنوثة واستحشر الطين إذا صار في معنى الحجر ليبسه[6].

ويعتبر دخول بني هلال في القرن الخامس للهجرة، إلى بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة بداية للتواجد الحقيقي للجنس العربي في هاته المنطقة نظرا للتأثيرات الهامة التي حملها معه هذا التواجد، الذي يطلق تسمية الزحف تارة والغزو تارة أخرى، وقد ساهمت القبائل الهلالية في تغير لخارطة السياسية والديمغرافية وحتى الخارطة الثقافي لبلاد المغرب[7].

---

[1]- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 383.

[2]- ابن حزم، المصدر السابق، ص 06.

[3]- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 383.

[4]- القلقشندي، قلائد الجمان، ص 12.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج2، ص 22.

[6]- القلقشندي، قلائد الجمان، ص 13.

[7]- حسين مؤنس، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس -قصر المرابطين والموحدين-، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م، ص 222.

وبنو هلال هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر، كانوا يقطنون الحجاز وحول مكة في بسائط الطائف وأقاموا بالشام إلى أن ظعنوا إلى مصر والمغرب[1].

ومن بطون بني هلال: بنو فروة، وبنو بعجة، الذين بين مصر وإفريقيا، وبنو حرب الذين بالحجاز بنواحي قسنطينة والمسيلة والزاب[2]، وممن سكن المغرب الأوسط من بطون بني هلال نذكر:

أ. الأثبج:

وكانوا أوفر القبائل الهلالية عددا وأكثرهم بطونا[3]، وقد استقروا بجبال الأوراس الشرقية بعد أن تمكنوا من إخضاع صنهاجة[4]، وبطون الأثبج كثيرة ومنها: دريد وكرفة وقرة وعياض والعاصم، ومقدم ولطيف[5]، ولكل بطن من هاته البطون تفرعت منه، فمن كرفة بنو محمد، والمراونة، وبنو كثير والحد لجات وهاته الأخيرة مواطنها بجبل أوراس مما يلي زاب تهود[6].

أما دريد فتفرعت عنها بطون هي: أولاد سرور وأولاد عطية وأولاد عبد الله، وكادت مواطن دريد ما بين بونة وقسنطينة، أما عياض فقد استقروا بجبل قلعة بني حماد بعد أن تمكنوا من هزيمة قبائله، ومن بطونهم الزبر وأولاد صخر وأولاد حمة والمهاية والخراج والمرتفع وغيرها، استقر بنو الضحاك ببلاد الزاب واتخذوا به المدن بعدما تركوا الظغن، أما لطيف فمنهم اليتامى أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف وذو مطرف، وذو أبي خليل، وذو جلال بن معاض، واللقمانة وأولاد لقمان، وأولاد جرير بن علوان، وغيرهم، ولقد استقروا ببلاد

---

[1]– عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1997م، ج3، ص 221.

[2]– ابن حزم، المصدر السابق، ص 262.

[3]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 30.

[4]– مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدي وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982م، ص 207.

[5]– مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 194.

[6]– مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص 208.

الزاب، والعمور وهم ليسوا من الأثبج وإنما يلحقون بهم والعمور بطنان قرة (مرة) وعبد الله، وقد تواجد العمور ما بين جبل أوراس شرقا إلى جبل راشد وبسفح جبل أوراس المطل على بسكرة[1].

ب. رياح:

ويرجع نسبهم إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر وهو أخو الأثبج ومن بطون رياح عمر وعلي ومنهم: أولاد قادع وأولاد دهمان، وعامر ومنهم: خضر ويعرفون بالأخضر، وسعيد ومنهم: أولاد ميمون، ومرداس ومنهم: الزواودة وأولاد صنبر وأولاد مسلم وأولاد عامر، وكانت رياسة رياح فيهم[2]، وكانت بطون رياح دائبة الحركة والتنقل من الجريد إلى القيروان إلى الزاب إلى المسيلة إلى ورقلة ولهم أقطاع بالحضنة ونواحي قسنطينة[3].

ج. زغبة:

إخوة رياح من أبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر كانت مواطنهم ما بين المسيلة وقبيلة تلمسان في القفار وبطون زغبة هم: زيدي ومنهم (بنو حميان، بنو عقبة، جواب، كرز، موسى، المرابعة).

وحصين: (ومنهم جندل، خراش، ومالك ومنهم: سويد، الحراث، الديالم، نجيس).

وعامر ومنهم: (بنو شافع، بنو حميد، بنو يعقوب).

وعروة ومنهم: (النضر بن عروة وخميس بن عروة) [4].

---

[1]– مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص 212.

[2]– مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق،ج2، ص 198.

[3]– مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص 212.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص 74–75.

د. المعقل:

دخلوا المغرب برفقة الهلاليين في قلة ونزلوا المنطقة التي تلي ملوية ورمال تافيلات وبقي منهم جمع قليل اندرجوا في جملة بني كعب بن سليم، وهم لا يدخلون ضمن قبائل المغرب الأوسط في الفترة المدروسة، وربما يدرجهم الباحثون في الفترة التي ساد فيها حكم بني عبد الواد والتي امتدت حدودها إلى ما بعد ملوية ووجدة[1].

هـ .الثعالبة:

وهم من ولد ثعلب أخي عبيد الله بن سجير، وطنهم متيجة انتقلوا إليها من التلول الشرقية ثم نزلوا جبل تيطري، ثم استبدوا بعد ذلك بمتيجة مرة أخرى، ورياسهم كانت في أولاد سباع بن ثعلب بن علي بن علي بن بكر بن سجير ثم انتقلت الرياسة إلى أولاد يعقوب بن سباع ثم في عقب حنيش بن حميد بن ثابت بن محمد بن سباع[2].

3-عناصر أخرى:

ويقصد بهم العناصر التي شكلت نسبة قليلة من مجموع السكان وفدت من مناطق بعيدة وتتمثل أساسا في السودانيين الصقالبة، والأندلسيون:

أ. السودانيون:

وأغلبهم من العبيد نجد أنهم شكلوا فرقة خاصة في الحبش الحمادي سميت باسمهم، اتخذهم الملوك والأمراء لخدمتهم وحراستهم يتم الحصول عليهم إما عن طريق التجارة، أو عن طريق الحروب[3]، وقد تنوعت المصطلحات التي أطلقتها عنهم المصادر فنعتوا باسم

---

[1]- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص 232.

[2]- المرجع نفسه، ص 234.

[3]- موسى هيصام، المرجع السابق، ص 320.

الزنج، وبني قوقو وجناوة وغيرها من التسميات[1]، وتواجد هؤلاء العبيد السودانيين لم في يكن الفترة الحمادية في المغرب الأوسط بل أنه سبق ذلك بكثير[2]

ب. **الصقالبة:**

قيل من ولد يافت يسكنون البلاد المتاخمة لبحر الخزر بين القسطنطينية وبلاد البلغار واصل كلمة صقلي Esclave فرنسي قديم، ومعناه عبد أو رقيق وقد استعمل المعنى نفسه في الأندلس فصار يطلق على أسرى الحروب الذين كان يأسرهم الجرمان ويبيعونهم للأندلسيين غير أن المعنى اتسع بعد ذلك فصار يطلق على كل الأرقاء من جميع الأمم المسيحية سواء عن طريق الاقتناء أو الأسر[3].

وقد استقر الكثير من الروم الصقالبة في المجتمع الحمادي كعبيد أو كأجراء[4]، أو كجنود في الجيش بحكم ما اتصفوا به من قدرة الثبات والمناورة في الحروب[5].

ج. **الأندلسيون:**

ويشملون أصول الفاتحين الأوائل للأندلس من العرب والبربر وغيرهما الذين نزلوا في مراحل مختلفة على بلاد المغرب، إما في إطار الحركة التجارية بين سواحل المغرب والأندلس، خاصة منذ إنشاء مدينتها الساحلية بجاية التي غدت مركزا هاما للتبادل والتواصل، وهو ما سمح بنزول الكثير من الأندلسيين بها عقب تمصيرها سنة 460هـ/1086م لممارسة مختلف الصنائع بعد أن مكنهم الملك الناصر من الاستقرار وبغيرها من المدن بالمغرب الأوسط، أو بفعل عدم الاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس

---

[1]– إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري في المغرب العربي، ابن سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995م، ص 230.

[2]– جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9–10م)، ديوان المطبوعات، الجزائر، د ط، د ت، ص 266.

[3]– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998م، ص 233.

[4]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 238.

[5]– موسى هيصام، المرجع السابق، ص 33.

نتيجة للصراع بين مختلف ملوك الطوائف، مما جعل الكثير منهم يفرون إلى سواحل المغرب طالبين الحماية والأمان[1].

حتى أن المعتصم بن صمادح حاكم ألمرية نزل بأهله وماله وعشيرته، على المنصور بن الناصر ببجاية مستنجدا به بعد هزيمته على يد المرابطين[2]، وكانت أول إقامته بجزائر بني مزغنة ثم بجاية، إلى أن استقر به المقام بمدينة تنس[3].

ومن أكثر المدن الساحلية التي عرفت تواجدا ملحوظا للأندلسيين في بلاد المغرب الأوسط: بجاية باعتبارها الأهم بين الحواضر في تلك الحقبة، مرسى الدجاج، بونة، وتنس، وغيرها من المدن والقرى[4].

ثانيا: طبقات المجتمع

1-الفئة الحاكمة:

يعتبر الحديث عن هذه الفئة من الصعب بحيث يختلط الجانب السياسي مع الجانب الاقتصادي، وكون أكثر المتتبعين لشأن هذه الفئة يركزون في الغالب على حياتهم السياسية وإنجازاتهم أكثر من أي شيء آخر[5].

حكم بنو حماد المغرب الأوسط من سنة 408هـ إلى سنة 547هـ وخلال هذه الفترة تعاقب على العرش الحمادي تسعة أمراء الذين سبق ذكرهم[6].

وللوقوف على بعض من جوانب الحياة الاجتماعية لهذه الفئة أورد ما ذكره صاحب الاستبصار في كتابه حين قال: "وكانت لملوك صنهاجة عمائم مذهبة يغلون في أثمانها

---

[1]– موسى هيصام، المرجع السابق، ص 31.

[2]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 119.

[3]– موسى هيصام، المرجع السابق، ص 31.

[4]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 237.

[5]– رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى الفاطميين إلى مصر (80هـ–362هـ)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م، ص 70.

[6]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 116.

تساوي العمامة خمسمائة دينار..." [1]، وفي هذا النص جملة من الاستنتاجات التي يمكن أن نخرج بها حول لباس الفئة الحاكمة في الدولة الحمادية ومنها لبس العمامة التي كانت أشبه إلى تاج الملك وقد ورثوها عن العبيديين[2].

كما أن مغالاتهم في أثمانها يدل على حياة البذخ التي كانوا يعيشونها وعليه فلا غرابة لنا إذ علمنا أنهم كانوا ينتعلون نعالا مشدودة بسيور مذهبة[3].

وعن مساكنهم يقول صاحب الاستبصار: "وفي موضع يعرف باللؤلؤة: بجاية فيه قصور من بناء صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعا[4].

ولقد كان الأمراء الحماديون يخرجون في العيدين للصلاة بالناس، لكن الغريب في الأمر أنهم كانوا لا يصلون معهم في حجرة واحدة بل مفصولين عنهم في مقصورات خاصة على عادة العبيديين[5].

ومنه نخلص أن هذه الطبقة قد ارتفعت في كل مناحي العيش عن العامة سواء في الملبس أو المأكل أو المسكن، ونأت عنها اجتماعيا حتى في دور العبادة، في مظهر صارخ من مظاهر الطبقية[6].

2-العلماء والفقهاء:

تمتعت فئة الفقهاء والعلماء بمكانة اجتماعية طيبة في مجتمع الحماديين، على أن هذه المكانة لم ترق إلى ما وصل إليه الفقهاء من مكانة في الدولة المرابطية، ولقد عرفت المدن الحمادية ظاهرة الإيمان بالأولياء بكثرة لاسيما في بجاية التي كانت تسمى لفترة طويلة (مكة الصغيرة)، وذلك لكثرة الأولياء بها ويقال إن عدد الأولياء ببجاية تسعة وتسعون

---

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 129.

[2]- الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 118.

[3]- رضا بن النية، المرجع السابق، ص 131.

[4]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 130.

[5]- الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ص 120.

[6]- عيسى بن ذيب، المرجع السابق، ص 100.

واليا[1]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على التقدير والكبير الذي كانت تحظى به هاته الفئة أي العلماء والفقهاء في نفوس الناس وعقولهم.

3-أصحاب المهن:

لابد أن البحث عن هذه الفئة وأدوارها ومكانتها الاجتماعية بالمغرب الأوسط عامة والدولة الحمادية خاصة يعد تحديا كبيرا لأي باحث حيث أن المصادر كانت شحيحة في ذلك، وليس هناك إلا إشارات طفيفة تحوم حول ما تعلق بمكانة هذه الفئة وتأثيرها داخل الدولة الحمادية[2].

فقد ساهمت عملية إنشاء المدن الجديدة في تلك الفترة على بروز الدور الهام لأصحاب المهن من بنائين وتجار وحدادين وغيرهم، الذين ساهموا بحق في عملية إعمار هذه المدن، وتطويرها، ومنه فقد شهدت الفترة التي تلت تأسيس أشير، وبعد أن استبحر عمرانها أن قصدها التجار من القاصية وامتهن أهلها بعض الحرف التي عرفت رواجا كبيرا بين الصنهاجيين، لاسيما أن، منهم من له باع طويل في هذا المجال خاصة أهل طبنة والمسيلة وسوق حمزة وتلمسان الذين رحلوا إلى أشير، إضافة إلى هذه المهن نجد مهنة الزراعة والرعي وذلك أن الدولة الحمادية خصبة الأرضي وبلد زراعي ورعوية بالدرجة الأولي[3].

4-أهل الذمة:

أهل الذمة هم المواطنون من غير المسلمين الذين يقيمون في دار الإسلام من اليهود والنصارى وأعطوا الأمان، ولهذا سمى المعاهد ذميا، فالذمة في الفقه الإسلامي هي العهد الذي يعطي للقوم عند فتح المسلمين لبلادهم، فلا يستقرون، ويؤمنون على حياتهم وحريتهم، ثم على أموالهم ليقروا بها في دار الإسلام[4].

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 239-240.

[2]- رضا بن النية، المرجع السابق، ص 123.

[3]- المرجع نفسه، ص 124.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري في المغرب العربي ، ص 65.

أما بالنسبة للتواجد النصراني في الدولة الحمادية كانت نتيجة الحروب الكثيرة القائمة بين العالم لإسلامي والنصرانية، ومنه بلاد المغرب الأوسط نتيجة الحروب التي كانت رحاها لا تقف بين الحماديين والنصارى في الضفة المقابلة من البحر، بالإضافة إلى هؤلاء كانت الجالية النصرانية، ذات امتداد في المنطقة وهناك بعض الروايات تذهب إلى القول بأنه القلعة عمرتها جالية كبيرة من المسيحيين البربر والذين ظلوا يقطنونها وقتا طويلا بعد إنشاء بجاية، ومن المؤكد أن ثمة طائفة مسيحية كانت تعامل معاملة حسنة وكريمة في رحاب الدولة الحمادية بدليل بناء كنيسة العذراء[1].

أما اليهود في الدولة الحمادية فهناك إشارات بوجودهم في قلعة بني حماد، كما تواجدوا في مدينة بجاية الناصرية، حتى أنهم أسسوا مدرسة تلمودية في قلعة بني حماد، وفي هذا إشارة عن الجالية اليهودية بهذه الدولة، لأنه لا يمكن ظهور مثل هذه المدرسة إلا بوجود أعداد كبيرة من اليهود الذين يحتاجون إلى مثلها للنظر في شؤونهم وعلاقاتهم بالآخرين[2].

5-المرأة:

ولقد وردت إشارات لدى مؤرخي العصر الوسيط الذي كان لهم حضور بالمغرب الأوسط، تفيد بأن المرأة في المجتمع الحمادي تمتعت بنوع من الحرية الاجتماعية، فقد كانت تختلط بالرجال[3]، وتسفر عن وجهها بل إن بعض الرجال يشتبهون بها فيلبسون مثل لباسها[4].

---

[1]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 237-238.

[2] – مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة، الجزائر، دط، 2009م، ص ص 77-78.

[3]– عبد الحميد النجار،المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وآثاره بالمغرب، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ص 90.

[4]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 240.

ثالثا: العادات والتقاليد:

1-الزواج:

الأسرة هي النواة الأساسية في أي مجتمع كان إذ أن المجتمع لا يعدو في حقيقته أن يكون مجموعة من الأسرة، المتلاحمة بينها والتي تربط بينها رابط القرابة، سواء القريبة منها أو البعيدة، والأسرة في صورتها المصغرة تتكون من الأب والأم ومجموعة من الأبناء، ولا سبيل إلى من ابتغى تكوين أسرة إلا الزواج، والزواج سنة الله في خلقه به يحفظ البشرية من الزوال وبه تحفظ الأنساب من الاختلاط وتحفظ الأعراض وتصان كرامة المرأة، وقد قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1].

ولا مراء أن أهل المغرب الأوسط قد راعوا الشروط التي وضعوها في أنظمتهم والتي لم تخرج عنها الدولة الحمادية، ومن بين هذه الشروط حضور الولي وشاهدي عدل والصداق[2].

وكانت الخطبة تستحب يوم الجمعة بعد العصر وذلك بقرب الليل وسكون الناس، وتكره على صدر النهار لما فيه من التفرق والانتشار وتستحب في شوال، والبناء فيه لأن النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام تزوج فيه عائشة[3].

ولقد اختلفت قيمة المهر حسب يسر حال الرجل أو عسره، فقد شمل في بعض الأحيان قرية بأكملها، وأحيانا نصف ما يملكه الرجل، وساق أحدهم مالا ودارا، بينما شملت

---

[1]– سورة الروم، الآية: 21.

[2]– رضا بن النية، المرجع السابق، ص 117.

[3]– حلولو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الزليطي، المسائل المختصرة من كتاب البرزلي، تح: أحمد محمد الخليفي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002، ص 241.

سياقة رجل آخر لزوجته نصف قطعة أرض محدودة، واتفق معها على بنائها بنيانا يكون بينهما مناصفة[1].

ونلاحظ أن الزواج كان مسألة، قوامها الحرية في الاختيار واتخاذ القرار سواء بالنسبة للرجل أو المرأة، على أن المرأة وبحكم الأعراف السائدة كان غالب أمرها بيد وليها الذي هو أبوها أو أحد محارمها، لغلبة الظن بمعرفة هؤلاء بمصلحتها، على أن يستعمل الولي هذه السلطة أو الولاية في حدود الشرع، خاصة إذا عرفنا أن المرأة في تلك الفترة لم تكن تطلب أكثر من زوج صالح يكون قادرا على الإنفاق عليها[2].

وكما اختلف في قيمة المهر بحسب اختلاف الحالة المادية للزوج فقد اختلفت الجهاز بحسب الحالة المادية لأهل العروس، وقد اضطرت بعض الأمهات لبيع ما يملكن لتجهز بناتهن، بينما جهز الآباء بالمهر الذي حصلوا عليه من الزوج أما جهاز العروس في البادية أو القرية فتميز ببساطته، إذ لم يتعد غالبا فراشا ولحافا وبعض الملابس والحلي، بينما لا تجد الأمهات الفقيرات ما يجهزن به بناتهن لذلك تطوع بعض المحسنين، لتجهيز الضعيفات إلى أزواجهن[3].

وبعد الانتهاء من إعداد الجهاز يتفق أهل العروسين على موعد الزفاف، وكان من المتعارف عليه أن يقوم الزوج بإرسال هدية، من جزور أو لحم إلى بيت العروس لكي يعدو طعاما، يأكل منه أقارب العروسين ليلة الزفاف، وأحيانا كان يهادي الزوج وزوجته قبل الزفاف، وقد يرسل إليها ببعض المال لتستعين به لشراء ما يلزمه قبل الزفاف ويسمى هذا عند البعض بحق العروس[4].

أما وليمة العرس فقد عدت مطلعة في غالب الأحيان، وكان اليوم الأول مخصصا ليذبح الخرفان بينما اليوم الثاني خاصا باستدعاء الضيوف وإطعامهم، وفي الليل توقد

---

[1]– إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري في المغرب العربي، ص 28.

[2]– رضا بن النية، المرجع السابق، ص 119.

[3]– إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري في المغرب العربي، ص 29.

[4]– الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع مع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إثرا: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، د ط، 1981م، ص 156.

الشموع والثريات والقناديل، وتسمع الطبول الزغاريد، وكانت النساء المدعوات يرغبن على أزواجهن في شراء كسوة خاصة لهذه الوليمة، وإذا لم تكن لديهن حلي يستعرنها من بعض صديقاتهن، وكان لابد من تقديم هدية للعروس[1].

وقد اعتادوا على التهادي في الأعراس فقد تهادوا بالدراهم والدنانير والجزور وبعض الأطعمة كالزيت والقمح والشعير واللحم والفاكهة[2].

2-الاحتفالات:

شهد سكان المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة جملة من الاحتفالات التي تشابهت في مختلف ربوعه ومنها الدولة الحمادية، إذ لا تخرج هذه الاحتفالات عن ثلاثة أوجه: احتفالات دينية وعسكرية، واحتفالات خاصة.

ومن الاحتفالات الدينية التي حرص عليها أهل المغرب وتمسكوا بها، نجد الاحتفال بالمولد النبوي وكانت هذه المناسبة تلقى اهتماما كبيرا من قبل ولاة الأمر، وسائر طبقات المجتمع، وكان لهم عادات خاصة في هذه المناسبة مثل إيقاع السمع، والتزين في اللباس وإكثار الصدقات على الفقراء والمساكين وكان المعلمون يشعلون الشمع في الكتاتيب والاجتماع مع صبيانهم للصلاة على النبي، وتلاوة ما تيسر من القرآن، وإنشاد بعض القصائد في مدح الرسول[3].

ومن بين الاحتفالات الدينية تعظيم يوم الجمعة باعتباره عيدا من أعياد المسلمين، وقد كان كبار رجال الدولة خاصة في العاصمة يخرجون في هذا اليوم قاصدين المسجد حيث يقرأ القرآن وتقام الخطبة، وربما خروج الناس لمشاهدة الخليفة بعد الصلاة[4].

كذلك عظم الأهالي شهر رمضان فكانوا يحتفلون بمقدمه في المساجد بإقامة حلقات الذكر، وقد اختص المغاربة ليلة السابع والعشرين بالتعظيم والتكريم،وقبل ليلة التاسع

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري في المغرب العربي، ص 29.

[2]- الونشريسي، المصدر السابق، ج9، ص 181.

[3]- المصدر نفسه، ج11، ص 278.

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 419.

والعشرين، حيث كانوا يقيمون الاحتفالات اعتقادا أنها ليلة القدر، وهي ليلة معظمة عند سائر المسلمين، كذلك ليلة عاشوراء، حيث كان بعض الصالحين يعدون الطعام ويدعون الناس احتفالا بهذه المناسبة[1].

كما عظم الناس يوم عرفة فصاموه، واجتمعوا فيه بالمساجد للدعاء والذكر، كما احتفلوا بليلة المنتصف من شعبان، وليلة المنتصف من رجب واليوم التاسع والعشرين منه، وكان رأس السنة الهجرية يوما مهما عند المسلمين إذ عدوه مناسبة للاحتفال وصنع ما لذ وطاب من الأطعمة[2].

ويحتفل أيضا بالعيدين عيد الفطر وعيد الأضحى كما يحتفل بهما في سائر أنحاء العالم الإسلامي، فتوقد الأنوار في جميع المدن، وتتعالى أصوات المسلمين بالتكبير والتهليل، ولإظهار فرحة العيد يقدم الناس على لباس الثياب الجديدة التي اشتروها، خصيصا لهذه لمناسبة ثم يتجملون ويتزينون للظهور في أحسن مظهر، كما يقبلون على شراء الأضاحي، وعليه فقد نال كبش العيد في المغرب مكانة كبيرة في أشعارهم وأمثلة عامتهم وأزجالهم حتى نظمت فيه أبيات الشعر، فقد خص أحد الشعراء كبش العيد بسبعة أزجال، ويبدو من أمثلة العامة وأزجالهم أن شراء كبش العيد كان ينوء بحمله كثيرا من سواد الناس، وكانت الزوجة والأولاد يلحون على رب أسرتهم شراء الأضحية فيضطر الزوج بعد هذا الإلحاح أن يشتريه، في صورة لا تبعد كثيرا عما نعيشه اليوم[3].

أما الاحتفال بميلاد الأطفال فكان أهل المغرب يحتفلون بميلاد أبنائهم بإقامة العقيقة، ونوع من الحلوى مشهورة عندهم تسمى العصيدة، ويطعم من ذلك الفقراء وأقارب المولود،

---

[1]– حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 419.

[2]– شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ667هـ/1129م–1268م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2008م، ص 163.

[3]– عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 181.

احتفالا بقص أول خصلة من شعر الطفل في اليوم التاسع لولادته، كذلك أهل المغرب يقيمون الاحتفال بختان الطفل فيقيمون لهذه المناسبة مأدبة، يدعى إليها الأهل والأقارب[1].

أما فيما يخص الاحتفالات العسكرية فقد كان يخرج الناس لمشاهدة عرض عسكري استعدادا لحملة أو لخروج ولي الأمر على رأس جنوده إلى معركة من المعارك، وما يصحب ذلك من مظاهر الفرح والابتهاج التي كانت تعم السكان وقد تعود ولاة الأمراء استعراض جنودهم قبل الخروج إلى المعارك وذلك باستعراض كتائب الجيش والعتاد أمام مرأى الناس، وكذلك الاحتفال بالنصر في المعارك والاحتفال عند فتح بلدان جديدة[2].

3-أنواع الطعام:

لا تتوفر معلومات كثيرة عن المأكولات الحمادية ما نستطيع قوله هو أن سكان المغرب الأوسط كانوا يأكلون الحنطة والشعير والبقول واللحم والتمور والفواكه والزيت والسمن والعسل[3]، ومن بين الأطعمة التي كانت آنذاك نجد العصيدة التي كانت تطبخ بالحنطة والزبدة والعسل[4]، وكذلك المركاز وهو الضفادع أو الغزلان تحشى باللحم المدقوق وتقلى[5]، ونجد كذلك الدشيش وهو نوع من حساء الشعير المدقوق، يفتت فيه الخبر ويسمى بالمرق[6]، وذكر أيضا الكسكس والخبز الذي كان يعجن في الدار ثم يحمل إلى فرن المدينة ومن أشهر الأطعمة كانت البسيسة والتي تصنع بسميد الشعير المحمص والزيت والماء والهريسة التي كانت تطبخ بالقمح واللحم المرحيين ولحم الدجاج بزيت الزيتون[7].

---

[1]- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د ط، 1996م، ص 45.

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 421.

[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 162.

[4]- الهادي الروحي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 199.

[5]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 162.

[6]- الهادي الروحي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 200.

[7]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 162.

ومن الحلويات التي كانت معروفة عندهم نجد الغسانية التي كانت تصنع من السميد والعسل والزعفران[1]، والكعك والسفنج بالعسل، الوزينج والقطائن الحالية والقرص بالسميد والعسل[2]، والقباط المحشو باللوز، ويبدو أن الفالوذج هو نوع من الحلويات مصنوعة من النشا والماء والعسل، ويمضغ القصب السكري قطعة قطعة، ويستخرج منه حسمبا وهو نوع من الشراب، وكذلك يوجد شراب يصنع من العسل والزبيب وهو شراب الجلاب[3]، وكذلك الخمر التي كانت تباع في سوق باب البحر في بجاية[4].

4-اللباس:

كان بنو حماد في بجاية يتعممون بعمائم من الشرب (كتان رقيق) مطرزة بالذهب، يمكن أن يبلغ ثمنها ستمائة دينار فما فوق، وكانت ملفوفة، ومشدودة شدا، حتى يخيل للناظر أنها تيجان وكان بعض الحرفيين المختصين في صنع تلك العمائم يتقاضون دينارين وأكثر عن كل عمامة، وكانت لهم قوالب خشبية في دكاكينهم تستعمل لهذا الغرض وتسمى الرؤوس[5].

ومن بين الملابس المصنوعة بقلعة بني حماد وبجاية نجد الأرقراق الزرابية والفتوحيات وشواشي الخز والأكسية، بجانب هذه الملابس يمكن أن سكان المغرب الأوسط الحمادي كانوا يلبسون مثل جيرانهم الزيريين الجبة الطويلة والقميص والسروال والفرو والبدن[6].

وقد اشتهرت الملابس المصنوعة في قلعة بني حماد بجودتها ورقتها وكان لباس العيد المصنوع في تلك المدينة يسوى ثلاثين دينارا[7].

---

[1]- الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 200.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 162.

[3]- الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 200.

[4]- المرجع نفسه، ص ص 1-2.

[5]- المرجع نفسه، ص 206.

[6]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 163.

[7]- الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 207.

المبحث الثاني: الحياة الثقافية للدولة الحمادية

أولا: الجانب العلمي:

عرفت الدولة الحمادية انتعاشا علميا كبيرا وازدهار فكري بالغ، حيث شهدت نهضة كبيرة في مجالات عدة يمكن تصنيفها إلى صنفين:

1- العلوم النقلية:

يعرف ابن خلدون أن العلوم النقلية: "هي العلوم التي أسندت إلى العبر عن الواضع الشرعي ولا مجال للعقل إلى في إلحاق الفروع بالأصول من خلال القياس أو الاشتراك في العلة"، وأصل هذه العلوم كلها هي الشرعيات في الكتاب والسنة وهي متمثلة في علوم القرآن وأصول الفقه وعلوم السنة "الحديث" والتفسير [1].

ومن أهم العلوم النقلية التي عرفتها الدولة الحمادية نجد:

أ- التفسير:

ويقصد به بيان وكشف والإظهار وفهم معاني القرآن الكريم، وتفسير آياته لاستنباط أحكام الشريعة، ومن أهم العلماء الذين اهتموا بالتفسير محمد بن عيسى بن محمد الغزاري أحد طلبة بجاية النجباء الذين اهتموا بالمسائل[2] بالإضافة إلى الفقيه والفيلسوف أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي الذي لقب "أبا حامد الغزالي" (ت580هـ/1185م)، والملاحظ على أبا علي المسيلي كان يجمع بين العلم والعمل الورع وبين العلم الظاهر والباطني[3]، عرف التفسير نوعين في طريقة التدريس:

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص 145.

[2]- القاضي عياض بن موسى عياض سبتي، ترقب المدارك وتقريب المسالك، معرفة أعلام المذهب مالك، تح: محمد قاوين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ج3، ص 445.

[3]- أحمد بابا التبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشرا وتق: عبد الله عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م، ص 155.

- **طريقة التدريس بالدراية:** تقوم هذه الطريقة على أساس طرح الأسئلة والمحاورة والمذاكرة حتى يفهم الطالب[1].
- **طريقة التدريس بالرواية:** هي العلوم التي يتوصل على معرفتها بالرواية والسماع[2].

ب-الفقه:

عرفت الدولة الحمادية الدراسات الفقهية السنية بعد انقلاب الفقهي الذي حدث بعد إعلان حماد بن بلكين (ت419هـ/1028م) نبذة للعبيدين وإعلانه للخلافة العباسية (405هـ/1041م) [3].

ومن أبرز هؤلاء الفقهاء: العالم الجليل مروان بن علي الأسدي المعروف بالبوني نسبة إلى مدينة بونة، كان حافظا نافذا في الفقه والحديث، له كتاب مختصر في تفسير الموطأ، توفي سنة 440هـ[4].

ومن العلماء كذلك نذكر موسى بن حماد الصنهاجي (ت535هـ/1140م)، وكذلك الفقيه أبو يوسف عبد السلام يعقوب الزواوي البجائي (ت692هـ)، والخطيب القاضي "عبد الرحمن الوغليسي"، الذي ألف العديد من الكتب منها: كتاب الأحكام الفقهية، وبقيت الدراسات الفقهية في حاضرة بجاية تزدهر على يد علمائها وفقهاء[5].

ج- علم القراءات:

اشتهر هذا العلم بمدينة بجاية على عهد الدولة الحمادية ومن أشهر من برع في علم القراءات في القلعة أبي العباس أحمد بن عبد الله المعافري الذي وصفه صاحب عنوان الدراية "الشيخ الفقيه المقري الصالح التقي"، وكذلك المقري أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز

---

(1)- أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص 25.

(2)- بن ذيب عيسى وآخرون،المرجع السابق، ص 97.

(3)- ابن بشكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية، القاهرة،ط1، دت، ج1، ص 889.

(4)- المرجع نفسه، ص 889.

(5)- ابن خلدون، المقدمة، ص 213.

بن محمد، كان حسن التلاوة صادق القراءة، إذ أحي ليلة 27 رمضان حيث امتلأ المسجد بالمسلمين لسماعه إلى جانب أبو القاسم يوسف البكري المولود ببسكرة سنة 403هـ، ترك آثار كبيرة أهمها "الكامل" "القراءات" وكتابي "وجيز" و"الهادي"[1].

2- العلوم العقلية:

يعرفها ابن خلدون فيقول: "وأما العلوم العقلية التي هي طبيعة للإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة"[2]، ويفهم من تعريف ابن خلدون أن العلوم العقلية وهي علوم طبيعية يهتدي إليها الإنسان بفكره، وتنقسم العلوم العقلية وتتفرع إلى عدة علوم واختلف في تقسيمها من مؤرخ لآخر أما ابن خلدون فقسمها كالآتي[3]: علوم المنطق، العلم الطبيعي (الطب، الفلاحة)، العلم الإلهي، علم التعاليم وينقسم إلى: علم الهندسة (الأشكال الكروية، مخطوطات، المساحة، المناظرة) وعلم الارتمامي (علم الحساب، علم الجبر والمقابلة، فرائض، معاملات) وعلم الهيئة (الرياح، النجوم) وأخيرا علم الموسيقى[4].

ومن العلوم العقلية التي بلغت مكانة مرموقة في الدولة الحمادية نجد اللغة والشعر والأدب.

اعتبرت اللغة العربية لسان الدولة، فأصبحت بذلك لغة التخاطب الأدبي باعتبارها لغة القرآن[5].

---

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 262-263.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، ص 250.

[3] – انظر الملحق رقم 06، ص 136.

[4] –ابن خلدون، المقدمة، ص248.

[5] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 262-263.

أ. الآداب:

عرفها ابن خلدون "بالإجادة في فن المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناخيهم[1]، ومن أهم الأدباء في العصر الحمادي نجد "النهلشي" كان أديبا عارفا باللغة ودقيق التحليل، وصحيح الرأي ومن أهم مؤلفاته نجد "الممتع"[2].

ب. الشعر:

يعد الشعر أحد فروع الآداب ازدهر في العصر الحمادي ومن الشعراء المشهورين آنذاك "ابن رشيق" (390هـ/450هـ) له ديوان يشتمل على 214 قصيدة نذكر منها رثاء قاضي المسيلة وغيرها، ومن قوله في رثاء القيروان:

وَالمُسْلِمُون مُقَسَّمُون تَنَالُهُم أَيْدِي العُصَاة بِذِلَّةٍ وَهَوَان
مَا بَيْن مُضْطَرٍ وَبَيْنَ مَعَذَّبٍ وَمَقْتَلُ ظُلْمًا وَآخَرُ عَان
يَسْتَصْرِخُونَ فَلَا يُغَاثُ صَرِيخُهُمْ حَتَّى إِذَا سَئِمُوا مِنَ الأَرْنَان

ومن الشعر أيضا أبي المليح الطيب، كان له مقطوعات جالبة سالبة للب، وله من قصيدة عيدية في الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي:

وَحَالَةٌ بِهِ الجَرْدُ المَذَاتِي كَأَنَّهَا عُذَارَى لَكِنْ نَطْلِقُهُنَّ تَحَمْحَمْ[3]

ج. التاريخ والجغرافيا:

لم يحظ بعناية كبيرة كما في العلوم الأخرى كالعلوم العربية والإسلام باعتبارها الأساس الذي تقوم عليه عملية التعريب المغرب، إلى أن المؤرخ عبد الحليم عويس يذكر في كتابه بعض المؤرخين الذين ارتبطوا بالدولة الحمادية، ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي مؤلف كتاب هام في التاريخ الصنهاجي "النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة"

---

[1]– ابن خلدون، المقدمة، ص 214.

[2]– رابح بونار، المرجع السابق، ص 310.

[3]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص ص 167، 172.

و"كتاب أخبار ملوك بني عبيد"، أما بالنسبة للجغرافيا نجد: النهلشي الذي كان عالما في أيام العرب، والورجلاني وهو من أهل ورجلان مولدا أو وفاة وألف كتاب بعنوان "فتوح العرب" وقصيدة عنوانها "القصيدة الحجازية"[1].

د. الفلك:

أما فيما يخص الفلك فقد اشتهر علي بن أبي طالب الوجال التاهرتي "والذي عرف بآثاره العلمية الكثيرة خاصة كتاب "البارع في أحكام النجوم"، وكذلك كتاب "الأرجوزة في الأحكام الفلكية"[2].

هـ الطب والصيدلة:

إن هاتين الصنعتين كانتا متلازمتين في العهد الإسلامي، إذ لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى وبطبيعة الحال لا يخلو مجتمع من المجتمعات في القديم والحديث منها، وذلك لأهميتها في حياة الناس، وهو من مظاهر تطور الطب في القلعة بروز أطباء كبار منهم، أبو جعفر بن علي البذوخ (ت575هـ1079م) المعروف بابن البذوخ القلعي الطبيب كان خبيرا بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة إلى جانب حسن نظره في الاطلاع على الأمراض وعلاجها، إذ أنه جمع بين الطب والصيدلة وله كتب لا تزال مخطوطة منها "حواشي على كتب قانون ابن سينا" وشرح الأصول لأبي قراط" وكتاب "ذخيرة الألباب أو الباء في لطائف الأنوار في الطب" ويوجد طبيب يظهر من اسمه أنه من أسرة البذوخ وهو أبو حفص عمر بن علي بن خليفة ابن البذوخ القلعي كان طبيبا بالإسكندرية ومن خلال اسمه يمكن أن يكون من أبناء عمومه ابن البذوخ[3].

---

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 268.

[2] – رابح بونار، المرجع السابق، ص 284.

[3] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 270.

ثانيا: الجانب العمراني:

1- أهم المدن الحمادية:

أ. مدينة القلعة:

تمثل مرحلة القلعة مرحلة مهمة في تاريخ الدولة الحمادية، لأن بناءها واختيارها كعاصمة ارتبط ارتباطا وثيقا باستقلال شخصية الدولة الحمادية وبتأسيسها كدولة مستقلة[1].

تأسست القلعة على يد حماد حيث شرع في بنائها سنة 398هـ1007م، وتم تمصيرها سنة 400هـ/1009م[2]، وقد فرضت هذه المدينة نفسها كمدينة رسمية يقطنها أمراء بني حماد[3]، كما أن موقع القلعة لم يكن مجهولا تماما بل لهذا الموقع امتدادا تاريخيا رُشِّحَ ليكون المكان المختار لعاصمة الدولة الحمادية[4]، كما أن هذا الموقع كان محتلا من قبل من طرف الرومان، وفي القرن الرابع الهجري أي قبل قيام الدولة الحمادية بقرابة نصف قرن، اتخذ أبو زيد مخلد بن كيداد الشهير بها صاحب الحمار والثائر على الفاطميين، هذا المكان حصنا يحتمي به في صد القوات الفاطميين[5].

وبعد أن أتم حماد بناء القلعة أحاط جبل كيانة بسور من الحجارة بقرب ارتفاعه ذراعين، ويمتد حوله على استدارة سبعة أميال[6]، مما يدل دلالة واضحة على أن السمة الغالبة هي الحماية الحربية، لكن هذا لا يعني بالضرورة أن القلعة كانت مجرد حصن عسكري فحسب، فقد كان هناك اهتمام بالجانب الحضاري وذلك بعد أن حققت وظيفتها الأولى[7].

---

(1)- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 88.

(2)- انظر الملحق رقم 01، ص 131.

(3)- خالد بالعربي، "البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد"، مقال دورية كان التاريخية، ع5، 2009م، ص ص 27-28.

(4)- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 59.

(5)- المرجع نفسه، ص 90.

(6)- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 274.

(7)- عبد الحليم عويس، المرجع لسابق، ص 91.

وتم تعمير القلعة بمن حولها من البربر، ونقل إليها سكان المسيلة وسوق حمزة، كما نقل إليها سكان قبيلة جراوة، وفتحت أبوابها لكل الباحثين عن معقل آمن حتى اليهود والنصارى فازدحمت القلعة بالسكان[1].

لكن القلعة ما لبثت أن تعرضت لبعض الهزات، فقد حاصرها المعز بن باديس لمدة عامين حين اختلف مع القائد بن حماد سنة 432هـ 1040م، ثم انصرف عنها بعد الصلح[2]، وفي سنة 457هـ1064م في عهد الناصر بن علناس، تعرضت لغزات بني هلال الذين استولوا عليها وخربوا مظاهرها الحضارية، فرأى الناصر ضرورة تأسيس مدينة جديدة لأن القلعة أصبحت مدينة منهوكة القرى مكشوفة للمغيرين، فابتنى مدينة بجاية وانتقل إليها سنة (461هـ/1069م) [3].

ب. مدينة بجاية:

تمثل مرحلة بجاية في تاريخ الدولة الحمادية مرحلة التحضر والانفتاح والهدوء والاتساع، يصفها الحميري بقوله: "قاعدة الغرب الأوسط، مدينة عظيمة على ضفة البحر، يضرب سورها، وهي على جرف حجر، ولها من جهة الشمال جب يسمى أمسيول[4]...وبها دار لإنشاء الأساطيل لكثرة الخشب بها في أوديتها وجبالها"[5].

وكانت بجاية في القديم تدعى "صلداي" وهي عبارة عن ميناء بحري، تسلكها قبيلة تسمى "بجاية" أو "بوجي" وهي فرع لإحدى القبائل الكبرى المنتشرة في المغرب[6].

---

[1]– عبد الحليم عويس، المرجع لسابق، ص 94.

[2]– المرجع نفسه، ص 94.

[3] – مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 275.

[4]– **أمسيول:** هناك من الجغرافيين من يطلق عليهم اسم مسيون، كالجغرافي الإدريسي، ينظر: الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان والمغرب ومصر والأندلس، مأخوذ من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبع بريل، دط، 1863م، ص 117.

[5]– الحميري، المصدر السابق، ص 81.

[6]– الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 107.

ويرجع بناء مدينة بجاية للأمير الحمادي الناصر بن علناس، وقد اختلف المؤرخون حول الأسباب التي دعت لبناء هذه المدينة، واعتبارها كعاصمة ثانية لبني حماد بعد مدينة القلعة، حيث ذكر بعض المؤرخين أن سبب بناءها يعود إلى خراب القلعة إثر موقعة سبيبة غربي القيروان[1]، والتي هزم فيها الناصر سنة (457هـ 1064م) أمام أبناء عمومه الزيريين، ونتيجة خيانة القبائل العربية له بعد تحالفهم ضده، فكانت سببا في بناء مدينة بجاية[2]، حيث يرى البعض أن بناء بجاية يرجع إلى مجرد الخوف من غزوات الهلاليين، والبعض الآخر يرجع بنائها إلى الصدفة، إذ أن الناصر كان يمر في طريقه إلى القلعة، فأعجبته ضيعة صغيرة لصنهاجة تدعى بجاية[3].

إلا أن السبب الراجح هو خراب القلعة بعد موقعة سبيبة، إذ كان هو الباعث على التفكير لبناء عاصمة الحماديين الثانية[4]، حيث قام الناصر بجلب العمال والمهندسين وشرع في تعميرها سنة 460هـ/1067م) ونقل الناس إليها وأطلق عليها اسم الناصرية واتخذها عاصمة له، ثم واصل ابنه المنصور من بعده عملية البناء والتشييد[5].

وبفضل الموقع الحصين الذي تميزت به مدينة بجاية، لم يكن للعرب إليها سبيل الأمر الذي شجع أهل إفريقية على الهجرة إليها وأدى إلى ازدهار العمران، وزيادته فيها، وهكذا كان لا يدخل إليها العرب إلا من يبعث السلطان في طلبه، فيبقى صاحب بجاية في ملك شامخ وعز باذخ[6].

أ- أشكال العمارة الإسلامية خصائص ومميزات فريدة من نوعها، والعمارة الحمادية بالمغرب الأوسط لم تخرج عن هذه القاعدة، فقد شهدت العمارة في عهدهم تطورات وذلك منذ

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 99.

[2]- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 275.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 100.

[4]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 372.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 369.

[6]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق ،ج3، ص 458.

قيام دولتهم، فأنشأو معالم عمرانية تدل على اهتمامهم بتشييد العمران على اختلاف أنوعه ويمكن تصنيفها إلى: العمارة المدنية، العمارة الدينية، والعمارة العسكرية أو الحربية.

ج. العمارة المدنية:

1- القصور:

لقد اهتم الحماديون بتشييد القصور سواء في القلعة أو بجاية، ومن قصور القلعة نجد:

2-قصر المنار:

يعد هذا القصر من أبرز معالم الإبداع الهندسي الحمادي في القلعة، بناه المنصور الحمادي (481هـ1089م/498هـ1105م)، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "وكان المنصور هذا مولعا بالبناء، فهو الذي حضر بني حماد وتأنق في اختصاص المباني، وتشييد المصانع، واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين، فبنى في القلعة قصر الملك، والمنار والكوكب، وقمر السلام..." [1].

يتألف هذا القصر من أبرز عدة مباني متلاصقة مع بعضها البعض، كما توجد به قاعات مختلفة الشكل من بينها القاعة الشرقية للقصر [2]، وكان الجدار الشمالي لهذا القصر يحتوي على ألواح مستطيلة الشكل من الخام [3] فوقها شريط مزين بعناصر هندسية منقوشة في الحجر، أما القاعة الغربية فكانت مفروشة بقطع من الخزف بيضاء وخضراء اللون وتخلل هذا القصر أحواض من الزهور والأشجار المثمرة، ونافورات المياه [4].

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 187.

[2]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 279.

[3]- **الرخام:** حجر مكسر يتكون من كربونات الكالسيوم المتبلورة. ينظر: عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة المدبولي، ط1، 2000م، ص 118.

[4]- إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م، ص 127.

3-قصر البحر:

بني هذا القصر بالقلعة، وسمي بدار البحر[1]، وصفه صاحب الاستبصار في خضم وصفه لمدينة القلعة فقال: "بني حامد في القلعة مباني عظيمة، وقصور منيعة متقنة البناء، منها قصر يسمى بدار البحر[2]، وقد وضع وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق"[3].

ويعد قصر البحر أبرز القصور الحمادية في القلعة، فقد امتاز بتخصيصه الذي أصبح فيما بعد مثالا يتخذ به المعماريون في صقلية وغرناطة وغيرها[4]، أما فيما يخص موقع هذا القصر فهو يقع في وسط المدينة، يشتمل على عدد كبير من المباني، وتوجد داخله بحيرة يعتقد أن أخذ اسمها منها، اختلف في تحديد مساحتها وعمقها وقد حظي هذا القصر بعناية خاصة من قبل الأمراء الحماديين[5].

كان يضم في مقدمته الشرقية الحامية، ومقر الحاجب، ودار العدل أو القضاء، وتوازي هذه البناية بناية أخرى للاستقبالات الرسمية، تستعمل على قاعات، وهذه الأخيرة كانت موجهة من الجنوب إلى الشمال، ومفتوحة نحو الغرب[6]، وكانت هذه القاعات مزينة بنقوش جميلة ومزخرفة بالفسيفساء[7].

---

[1]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 273.

[2]– انظر الملحق رقم 02، ص 132.

[3]– مؤلف مجهول، المصدر السابق،ص 106.

[4]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 273.

[5]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 277.

[6]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 273.

[7]– **الفيسفساء:** قطع صغيرة ملونة من الرخام وغيره كالحصباء والخرز، تزين بها أرض البيت أو جدرانها. ينظر: عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 214.

4-قصر السلام:

يعد هذا القصر[1] من أهم البنايات التي كان لها أثر بالغ في الفن المعماري عند بني حماد، وتتجلى معالم هذا القصر المعمارية في كونه ينقسم إلى قسمين، قسم سفلي وآخر علوي، السفلي يوجد فيه صحن طوله 15 مترا، وغرف مختلفة الشكل[2].

أما القسم العلوي فله سور من حجر مربع، في زواياه بروج وهي تشبه في تشييدها قصور الأمويين بالشام والأردن، وله باب وواجهة مزينة، كما يوجد به مدخل يؤدي إلى قاعة مستطيلة الشكل، يبلغ طولها 17.75 مترا، عرضها 2.75 متر، وبالطرف الشرقي للقاعة الكبيرة الجنوبية نجد آثار سلم عرضه 0.85 متر، وهذا السلم يؤدي إلى الطابق الأول[3].

5-قصر الكوكب:

يعتبر هذا القصر من بين القصور التي احتفظ لنا التاريخ باسمها وصفاتها، أما عن موقعه فهو بين قصر السلام وقصر البحر[4]، وهو من القصور الجميلة التي أسسها المنصور بعد قصر السلام والمنار[5]، إلا أن هذا القصر لم يحظى باهتمام الباحثين، حيث لم تتناوله المراجع بشيء من التفصيل.

أما في بجاية فقد ازدهرت حركة التقدم العماني، وقد كان للناصر وابنه المنصور من بعده الأثر الكبير في تحقيق هذا الازدهار، خاصة فيما يتعلق ببناء القصور التي نذكر منها:

---

[1]- انظر الملحق رقم 03، ص 133.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 270

[3]- المرجع نفسه، ص 271.

[4]- المرجع نفسه، ص 270.

[5]- رابح بونار، المرجع السابق، ص 217.

6- قصر اللؤلؤة:

خصصه الناصر بن علناس، وأكمل بناءه ابنه المنصور سنة 494هـ[1]، وقد جعل هذا القصر مسجدا كانت تعلوه منارة مزينة بالرخام الأبيض والذهب واللازورد[2] وصفه ابن خلدون قائلا: "إن هذا القصر من أعجب قصور الدنيا..." [3]، كما ذكره صاحب الاستبصار فقال: "وفي بجاية موقع يعرف باللؤلؤة، وهو أنق من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة، لم ير الراؤون أحسن منها بناء، ولا أنزه موضعا، فيها طاقات مشرفة على البحر، عليها شبابيك الحديد والأبواب المرخمة المنحنية، والمجالس المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها، وقد نقشت أحسن نقش، وأنزلت بالذهب واللازورد، وقد كتب فيها الكتابات المحسنة، وصورت فيها الصور الحسنة، فجاءت من أحسن القصور منزها وجمالا"[4].

كما يوجد في مدينة بجاية قصر آخر في أعالي المدينة الناحية الشمالية، أطلق عليه الحسن الوزان اسم "الحسن" حيث قال: "محاط بالأسوار، ومنسق بالفسيفساء العجيبة، وقد كان هذا القصر آخر قصور بني حماد التي امتدت إليها يد الخراب"[5].

كما بنى المنصور قصر "بلارة" ينسب إلى زوجته بلارة بنت تميم بن المعز، كما أنشأ يحيى بن العزيز "قصر النزهة" بجيجل اتجاه البحر، لكن هذا القصر حطم على يد النورمان عندما هاجموا المدينة"[6].

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 258.

[2]- **اللازورد:** حجر كريم مشهور، أجوده الصافي الشفاف الضرب إلى الحمرة والحضرة. ينظر: عاصم محمد رزاق، المرجع السابق، ص 258.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 206.

[4]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 52.

[5]- الحسن الوزان، وصف إفريقيا،، تر: عبد الرحمن حميدة، د ط، د ت،ج2 ص 81.

[6]- يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2009م،ج2 ،ص 158.

د- المساكن والأحياء:

إن منازل بني حماد لا تختلف من حيث الشكل ونمط البناء عن المنازل المغربية عامة فقد كانت مربعة الشكل في غالب الأحيان بالإضافة إلى أنها لا تكتسي أي مظهر جمالي من الخارج، وليس بها نوافذ مفتوحة على الشارع، وإن وجدت فهي نوافذ صغيرة لا تعرض الحريم للرؤية من الخارج[1].

أما أبواب المنازل فكانت مصنوعة من الخشب، وكان يتوسط هذه المنازل الفناء الذي يسمح بدخول الضوء والهواء إليها، كما توجد بهذه المنازل ممرات تصل الغرف ببعضها، بالإضافة إلى أن هذه المساكن كانت مزودة بقنوات لصرف المياه خارج المدينة، أما فيما يخص المادة التي كانت تبنى بها جدران هذه المنازل فقد كانت في الغالب من الحجارة[2].

ومما لاشك فيه أن المدن الحمادية كانت تشتمل على أحياء كغيرها من المدن الإسلامية، تقطنها طبقات اجتماعية مختلفة، ومن هذه الأحياء نذكر: هي جراوة قرب باب جراوة وهي البحر، وهي أمسيول، وهي اللؤلؤة[3].

هـ العمارة الدينية:

1-المساجد:

المساجد أجمل ما تقع عليه عين الإنسان في العالم الإسلامي، فسواء كنت في قرية صغيرة خافية في بطن الريف أو مستكنة خلف كثبان الرمال في الصحراء، أو راقدة في لحف جبل، أو كانت في عاصمة كبيرة الأرجاء متدفقة الحركة عامرة بالعمائر الساقية[4]،

---

[1]- خالد بالعربي، المرجع السابق، ص 29.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 163.

[3]- المرجع نفسه، ص 155.

[4]- حسين مؤنس، المساجد، الكويت، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، 1981م، ص 27.

فبناء المساجد مرتبط بعقيدة المسلم التي هي من أهم أساسيات حياته، لهذا اهتم المسلمون اهتماما خاصا بعمارة المساجد[1].

وقد راعى المسلمون في بناء مساجدهم أن يكون فنا معماريا مغايرا لفن معمار الكنائس عند النصارى، والأديرة عند اليهود والمعابد الوثنية، فبنوها خالية من الرسوم والصور والتماثيل واقتصر تزيينها على الآيات القرآنية الشريفة، ورسوم النباتات والأشكال الهندسية[2]، والدولة الحمادية باعتبارها دولة مسلمة لم تخرج عن هذه القاعدة ومن المساجد التي شيدها الحماديون نجد:

- **المسجد الكبير ومسجد المنار:**

يعد المسجد الكبير كثير الشبه في تخطيطه بمسجد القيروان[3]، ولا زال يحتفظ بقواعد جدرانه ودعائمه وبمئذنته، شكله مستطيل طوله 63.20 متر وعرضه 53.20 متر[4].

أما عن صحن المسجد فيفصله عن بيت الصلاة جدران وأبواب، كما كان مفروشا ببلاط أبيض، ومحاط برواق، في وسطه جب عمقه 11.15 متر وعرضه 5.40 متر وفي وسط الجدران الشمالي للصحن مئذنة مبنية بالحجر[5]، واجهتها الجنوبية مزينة بزخارف نباتية وهندسية[6].

---

[1]– حنان غرقوني، تخطيط المدن (العمارة والزخرفة)، لبنان، مؤسسة مجد الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص 58.

[2]– محمد محاسنة، الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن، دار المعرفة، ط1، 2009م، ص 275.

[3]– محمد طمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، د ط، 2007م، ص 153.

[4]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 210.

[5]– المرجع نفسه، ص ص 210–211.

[6]– **الزخارف:** النباتية والهندسية: الزخارف الناشئة وهي نقوش بعض النباتات التي يحل بها البناء كأوراق العنب وسعف النخيل، أما الهندسية فهي زخارف بعض الأشكال الهندسية كالمربع والمستطيل والمثلث. ينظر: عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص ص 120–123. انظر الملحق رقم 04، ص 134.

فهو تحفة معمارية رائعة، حتى أن بعض الباحثين يشيرون إلى أن مئذنة هذا المسجد قد أثرت في المآذن الموحدية خصوصا في مئذنة جامع إشبيلية، التي لها زخارف منظمة[1]، وبالإضافة إلى هذا المسجد، عثر علماء الآثار سنة 1968م على بقايا مسجد صغير بقصر المنار يبلغ طوله 1.80 متر، وعرضه 1.70 متر، يتم الدخول إليه من باب عرضه 74 سم في وسط مشكاة محرابة كتابات تحتوي على آيات قرآنية[2]، منها قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[3].

وبالإضافة إلى أن هاذين المسجدين كانت تؤدي بهما الصلوات فقد كانت تلقى فيهما بعض الدروس على الطلبة[4].

أما فيما يخص المساجد التي بناها الحماديون بعاصمتهم الثانية بجاية نجد:

- **المسجد الأعظم:**

يبلغ طوله 220 ذراعا[5] وعرضه 150 ذراعا واجهة مزينة بسبحة عشر عقدا، وباب كبير على يمينه، أما على يساره فتوجد ألواح رخامية مزينة بكتابات، وجدرانه مغطاة بالزليج، أما أرض المسجد فكانت مفروشة بالرخام[6]، كما كان هذا المسجد يضم بيتا للصلاة مخصصا للنساء[7].

يضاف إلى هذا المسجد مساجد أخرى نسبت إلى الحماديين مثل:

---

[1]– خالد بالعربي، المرجع السابق، ص 29.

[2]– يحيى بوعزيز، جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية، مجلة الأصالة، ع: 19، 1974م، ص 286.

[3]– سورة الإخلاص، الآيات: 1-5.

[4]– خالد بالعربي، المرجع السابق، ص 29.

[5]– **الذراع:** ست قبضات، والذراع ما يذرع به، قضيا كان أو حديدا وكان يستعمل للقياس. ينظر: أحمد الشربامي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، ط1، 1981م، ص 180.

[6]– حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، د ط، 2007م، ج 2،ص 207.

[7]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 207.

- **مسجد ملالة:**

يروى عن هذا المسجد أن أبناء العزيز لما رأوا ابن تومرت[1] بملالة سألوه أن يبنو له مسجد في هذا المكان، فأجابهم فإن شئتم فبنوا وأقبل عليه من كل مكان[2]، أما المراكشي فذكر أن هذا المسجد كان يحمل اسم ابن تومرت، وكان منزل موجودا في عصره، لكنه لم يعرف تاريخ بناءه[3].

- **الجامع الكبير بقسنطينة:**

يعتبر من أكبر الآثار المعمارية التي خلفها الحماديون والتي لا زالت معالمها باقية إلى اليوم، شاهدة على ما بلغوه من رقي في هذا الفن، وقد نسب هذا المسجد لبني حماد استنادا على الدراسة التي قام بها رشيد بورويبة سنة 1960م، حيث أكد هذا الأخير على أن محراب المسجد والجدار الجنوبي الذي أنشئ فيه يعود إلى العهد الحمادي وذلك بالنظر إلى التاريخ الذي يحمله المحراب والمتمثل في سنة 530هـ/1136م[4].

بالإضافة إلى بيت الصلاة الذي نسب إلى الفترة نفسها لأن جداره الشمالي الذي فتحت فيه أبواب خشبة تحمل زخرفة شبيهة التي تزين نقش الجدار الشرقي لبيت الصلاة، ويرجع تاريخها إلى سنة 455هـ/1063م.

بلغ طول بيت صلاة هذا المسجد في الداخل 24 متر، وعرضه 22.1 متر أي أن شكله يكاد أن يكون مربعا، وبه ستة أساكيب عمودية على المحراب، وثمانية بلاطات موازية

---

[1]– **ابن تومرت:** المؤسس الروحي للدولة الموحدية، اختلف في تحديد نسبه فالبعض ينسب إلى الرسول (ص) عن طريق ابنته فاطمة من زوجها علي، والبعض الآخر يجعل نسبه بربريا. ينظر: ابن قطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، لبنان،ط1، 1990م، ص 123.

[2] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 210.

[3] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 181.

[4]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 280.

للمحراب، بالإضافة إلى وجود جدار يفصل الصحن عن بيت الصلاة كما هو الحال في جامع قلعة بني حماد، كما توجد بهذا الجدار أربعة أبواب عرضها 1.60 متر[1].

د- العمارة العسكرية (الحربية):

اعتنى الأمراء الحماديون بتسوير مدينة القلعة، التي كانت القاعدة الأولى لحكمهم في بلاد المغرب الأوسط، لتكون قلعة منيعة صعبة المنال، وعليه فقد كانت القلعة محاطة بسور ما زالت آثاره موجودة إلى يومنا هذا، هذا السور على شكل رجل كبش، يبلغ طوله سبع كيلومترات مبني كله من الحجر[2].

يبدأ هذا السور من الشط الغربي لوادي فرج من جهة الشرق، ثم يتجه نحو الشمال إلى أن يصل إلى جبل تاكربوست، ثم ينحدر ليعبر باتجاه الشط الشرقي[3].

وتنفتح من هذا السور ثلاث أبواب رئيسية هي: باب الأقواس الذي أظهرت الحفريات أن سور القلعة كان موجودًا على يساره[4]، وباب الجنان الذي يفضي إلى المسيلة ويتصل بطريق القيروان، أما الباب الثالث فهو باب جراوة[5].

هذه الأبواب الثلاثة المنفتحة على السور، تدل على ما بلغته الهندسة المعمارية للطرق في العصر الحمادي في القلعة من التقدم والرقي، غير أنه لم يبق لهذا الأبواب أثر[6].

والحال نفسه بالنسبة لمدينة بجاية فقد كانت هي الأخرى محاطة بسور ما زالت آثاره قائمة، فقد كان هذا لسور ينحدر من الناحية الشمالية، يتراوح عرضه ما بين 1.70 متر

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص ص 222-223.

[2]- المرجع نفسه، ص 202.

[3]- الصنهاجي أبو عبد الله محمد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984م، ص 42.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص: 202.

[5]- خالد بالعربي، المرجع السابق، ص 29.

[6]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 202.

و2.50 متر، وارتفاعه بين 4 و6 متر، ويوجد في أعلاه معبر للحراس به شرفات، وكان هذا السور مبنيا بالحجارة والجير والاسمنت[1].

بالإضافة إلى الأسوار اهتم أمراء الدولة الحمادية كذلك ببناء أبراج القوية والعالية للمراقبة، ومن أبراج المراقبة التي شيدها الحماديون بالقلعة نذكر برج المنار الذي كان يمتاز بعلوه يراقب مدينة القلعة من جميع جهاتها، مما سهل عملية المراقبة وكان لهذا البرج قاعدة مربعة الشكل ومسقفة بقبة يبلغ طول ضلعها 20 متر وقاعة صليبية الشكل، وكان ممر الحراس يحيط بالقاعتين[2].

[1]–رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 202.

[2]– خالد بالعربي، المرجع السابق، ص 29.

المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية للدولة الحمادية

أولا: النشاط الزراعي:

حظيت الدولة الحمادية بخصوبة أراضيها الزراعية، وتنوع محاصيلها وتوفير المياه للري إذ يقول الإدريسي: "...ولها بواد ومزارع الحنطة والشعير موجودان بكثرة والتين وسائر الفواكه، منها ما يكفي لكثير من البلاد"[1].

ومن منتوجات الدولة الحمادية نجد الحبوب والبقول والكروم والزيتون والفواكه والنباتات النسيحية والطبية ونباتات أخرى مختلفة[2].

أ-الحبوب والبقول:

يتمثل الإنتاجان الرئيسيان من الحبوب في القمح والشعير[3]، الذين كانا موجودين في المغرب الأوسط كله، وبالأخص في نواحي قسنطينة وقلعة بني حماد وباغايا وطبنة وبونة وجيجل وسطيف وبجاية والجزائر ومتيجة وشرشال وبرشط وبنطليوس[4].

فبمدينة قسنطينة تخزن الحنطة في مطاميرها مائة سنة لا تفسد، وأنه في كل دار منها مطمورتان وثلاث وأربع منقورة في الحجر، ولذلك تبقى بها الحنطة لبرودتها واعتدال هوائها[5].

وكانت الحبوب وافرة أيضا بناحية القلعة، حيث أنها بلاد زرع وخصب وفلاحتها، إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت وأهلها أبدا الدهر شباع، وأما في شرشال فزراعة الحنطة والشعير

---

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 260.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 129.

[3]- الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 240.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 129.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 64.

فيها ما يزيد على الحاجة، ولأهل تنس كثير من الحبوب إلى أن تخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب[1].

أما بالنسبة للبقول كانت موجودة حول المدن ولكن في أغلب الأحيان لم يذكر أسماء الأنواع المزروعة، حيث عثر على نوع واحد خلال الأبحاث ألا وهو البصل الذي يزرع بقرية بني وازلفن قرب مدينة تنس[2].

ب –الفواكه:

كان المغرب الأوسط غنيا بالفواكه في عهد بني حماد وفي بعض الأحيان اقتصر الجغرافيون على ذكر وجود الفواكه بدون ذكر أسماء الأنواع المزروعة، أما في أحيان أخرى أخبرونا بأسماء أنواع الفواكه وهي: التمور، والتين والسفرجل والجوز واللوز والتفاح[3].

1. التمور:

منذ العصور القديمة كانت واحات جنوب قسنطينة وتونس مزدهرة، كما كانت التمور موجودة في طولقة وطبقة ونقاوس والمسيلة أيضا[4]، وكانت تمور بسكرة مشهورة، حتى عرفت ببسكرة النخيل، كما جاء في قصيدة لأحمد الموردي:

تم أتى بكسرة النخيل فقد اغتدى في زيه الجميل[5]

---

[1]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 130.

[2]– المرجع نفسه، ص 130.

[3]– المرجع نفسه، ص 131.

[4]– أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 52.

[5]– الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 142.

2. التين:

كان التين موجودا بنواحي بجاية وشرشال[1]، وانتشرت أشجار التين بكثرة لاسيما في جبل نفوسة وفي تاجنة التي بينها وبين تنس مرحلة، ومرسى الدجاج[2]، حيث كان يعمل من التين شرائح مثل الطوب ويحمل منها إلى كثير من الأقطار[3].

3. اللوز والتفاح والسفرجل:

كان اللوز موجودا بنقاوس[4]، وكانت البساتين المحيطة بمدينة تونس تنتج نوعا من اللوز الطري المتميز بقشرته الرقيقة وثمرته المزدوجة[5]، وتواجد التفاح بمدينة جيجل[6]، أما السفرجل تواجد بتنس وشرشال وتاهرت والخضراء (عين الدفلة الحالية)، ذكر البكري أن سفرجل تاهرت يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعاما ومشما ويسمى بالفارس[7].

ج- النباتات: النسيجية:

في عهد بني حماد نجد النباتات النسيجية التالية: القطن بالمسيلة وطبنة ونقاوس والكتان ببونة وطبنة ومقرة ومتيجة والشهدانج بقرية وازلفن قرب تنس، وكان كتان متيجة يصدر[8].

د- النباتات الطبية:

من النباتات الطبية التي كانت تنبت في المملكة الحمادية نذكر: عاقر قرحا وهو الكافورية أو حشيشة الحمى وتوجد بناحية سوق حمزة ونباتات تنبت بجبل امسيون ببجاية

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 132.

[2]- الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 242.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 83.

[4]- رشيد بورويبة، المصدر السابق، ص 133.

[5]- الهادي الروجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 243.

[6]- رشيد بورويبة، المصدر السابق، ص 133.

[7]- المرجع نفسه، ص 132.

[8]- المرجع نفسه، ص 133.

ذكرها الإدريسي وهي: القنطروين الكبير والأفستين والحضض والسقولو فندريون، والزراوند والبرباريس والفسطون وأخيرا نبات ينبت بناحية قلعة بني حماد يشربه أهلها ليتحصنوا من ضرر العقارب[1].

هـ- نباتات أخرى:

نذكر منها الزعفران الموجود بمجانة والنيل المزروع بالغدير والحناء والكمون الموجودين بقرية بني وازلفن قرب تنس[2].

ثانيا: النشاط الصناعي:

تتمتع الدولة الحمادية يوجد ثروات زراعية، حيوانية ومعدنية، والتي تعد عاملا من عوامل قيام بعض الصناعات بها[3]، هذا ما جعل الإدريسي يذكر أن: "لها من الصناعات ما ليس بكثير من البلاد ولها من الصناعات كل غريبة ولطيفة[4]، ومن بين هذه الصناعات نذكر:

أ- صناعة المعادن:

كان المغرب الأوسط غنيا بالمعادن في عهد بني حماد، فنجد الحديد بمجانة وبونة وبجاية والفضة والرصاص والأثمد بمجانة، والنحاس واللازورد بجيجل والجص بمتوسة على حوالي 12 ميلا من بجاية[5].

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 134.

[2]- المرجع نفسه، ص 134.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 229.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 260.

[5]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 136.

وبجانب هذه المعادن نذكر الملح[1]، فقال البكري "يوجد قرب بسكرة جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه ما كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملونه في أطعمتهم[2].

1. صناعة السفن:

ذكرت المصادر أن الخشب يوجد بكثرة نتيجة توفرها على الغابات[3] في ناحيتي بونة وبجاية[4]، وقد استخدم خاصة في الصناعات البحرية إلى جانب صناعة أخرى كالنجارة[5]، ويستخرجون منه الزفت والقطران[6]، إضافة إلى اهتمام الحماديون بإنشاء العديد من دور الصناعة الحربية والتجارية، حيث يقول الإدريسي: "ولها الصناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي"[7]، ويضيف مؤرخ آخر: "ولها داران لصناعة المراكب وإنشاء السفن"[8].

2. صناعة النسيج:

إن العاصمة الحمادية الأولى "القلعة" كانت مشهورة بأكسيتها التي ليس لها مثيل في الجودة والرقة لا الوجدية التي كانت تصنع بجودة تساوي كسا من عمل القلعة ثلاثين دينارا"[9]، كما أنها كانت مشهورة بالألباد والملابس الجميلة والأقمشة المزكرشة"[10].

هذا فيما يخص صناعة النسيج بقلعة بني حماد، أما صناعة النسيج ببجاية فإن أهلها كانوا متخصصين في صناعة العمائم[11]، حيث يقول صاحب "الاستبصار" في هذا السياق

---

[1]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 136.

[2]– أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 52.

[3]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 226.

[4]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 134.

[5]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 226.

[6]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 134.

[7]– الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 260.

[8]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، 130.

[9]– المصدر نفسه، ص 58.

[10]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 139.

[11]– المرجع نفسه ص 137.

أن لملوك صنهاجة عمائم مذهبة تساوي العمامة الخمسمائة دينار وكانوا يعممونها بأتقن صنعة فتأتي كأنها تيجان"[1].

وبجانب العمائم هناك ملابس غريبة أخرى كانت تصنع ببجاية ذكرها البيذق في قوله: "إن المهدي كان ينهي الناس عن الإقراق الزرارية ولباس الفتوحات للرجال ويقول: لا تتزينوا بزي النساء لأنه حرام"، ويوجد أيضا ملابس أخرى منها شواشي الخز[2].

3. صناعة الزجاج:

لقد كان في بجاية مراكزها لصناعة الزجاج، الذي قد صدر إلى جانب المواد الخام[3]، كما أنه أثناء الحفريات التي أجريت بقلعة بني حماد عثر الأثريون على عدة قطع من الزجاج منها قطع كانت مرصخة في الجص وقطع أواني مختلفة الشكل وصنوج[4].

4. صناعة المطاحن:

كانت تعرف مجانة بالمطاحن لأن المطاحن التي كانت تصنع بها ليس على الأرض مثلها، وقال الإدريسي: إن بمجانة جبل شاهق ومنه تقطع أحجار المطاحن التي إليها الانتهاء في الجودة وحسن الطحين حتى الحجر منها ربما مر عليه عمر الإنسان فلا يحتاج إلى نقش ولا إلى صنعة هذا لصلابته ودقة أجزائه، أما المطاحن المائية موجودة بالغدير وقزسرونة قرب البلدة الحالية ومليانة[5].

---

[1]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 20.

[2]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 137.

[3]– لويس ارشيبال، القوة البحرية في حوض الأبيض المتوسط (500–1100)، تر: أحمد محمد عيسى ومحمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت، ص 330.

[4]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 309.

[5]– المرجع نفسه، ص 139.

5.صناعة الفخار والخزق:

نجد ببجاية وبقلعة بني حماد فخارين وخزائين يصنعون أواني مختلفة الأنواع، حيث عثر على أواني مختلفة الشكل مثل الجرة التي اكتشفت بمسجد قلعة بني حماد[1].

أما الزخرفة تنقسم إلى صنفين هما الزخرفة المسحوبة والتي تحتوي على خطوط مستقيمة أفقية ومائلة، جيبية أفقية متوازنة تشكل أحيانا متغيرة مجوفة أفقية ومائلة، والزخرفة المسحوبة على شكل حلزون، أما الصنف الثاني من الزخرفة فهو الزخرفة المطبوعة وتحتوي على عناصر هندسية ونباتية وكتابية[2].

ثالثا: النشاط التجاري:

لقد كانت التجارة أبرز الأنشطة الاقتصادية في الدولة الحمادية على الإطلاق، وساعدت على ذلك ظروف سياسية واقتصادية وأخرى جغرافية نذكر منها:

- الظروف السياسية المحيطة بهم كالزيرين[3] الذين استقروا بإفريقية بعد رحيل الفاطميين إلى القاهرة على عهد المعز لدين الله سنة اثنين وسنتين وثلاث مائة[4] وكان ذلك الاستقلال على عهد يوسف الصنهاجي حسب ما ورد عند ابن أبي دينار "انتقلوا إلى إفريقية حين سار المعز لدين الله[5] إلى مصر فأساء منه على عمله أي الفتوح يوسف بن الزيري بن مناد الصنهاجي[6].

---

[1]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص ص 139–140.

[2]– المرجع نفسه، ص 280.

[3]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 226.

[4]– المقريزي تقي الدين أحمد بن علي، إتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، تح: جمال الدين الشيال، منشورات وزارة الأوقاف، القاهرة،ط2، 1996م،ج2، ص 134.

[5]– **المعز لدين الله:** أبو تميم معد بن المنصور بالله أي الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي قاسم محمد بن المهدي عبيد الله 319هـ بويع بالإمارة في حياة أبيه على عهده انتقلت الدولة الفاطمية إلى مصر، يعد آخر الأمراء بالمغرب وأولهم بمصر توفي سنة 365م بمصر. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 134.

[6]– ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1969م، ص 71.

- أما الجغرافية فأتت نتيجة الموقع الإستراتيجي للموانئ، الذين تحدثت عنهم المصادر الجغرافية خاصة بجاية والجزائر وبني مزغنة إذ كانت موجودة قبل اختصاصها من قبل الحماديين فيذكر ليون بجاية قائلا: مدينة عتيقة بناها الرومان على ما يراه بعضهم في منحدر ميل شاهق على ساحل البحر المتوسط[1].

- بينما الظروف الاقتصادية فكانت لالتقاء الظروف الطبيعية من مناخ وأراضي زراعية، إضافة إلى توفر الغابات (الخشب)، والمواد الخام في جبالها لمختلف الصناعات خاصة البحرية منها، كل ذلك إلى جانب الواردات التي تجلب لها من الصناعات خاصة البحرية فقط، كل ذلك إلى جانب الواردات التي تجلب لها من مختلف الأقطار، ساهمت في تطور وازدهار المدن خاصة الساحلية منها ومن الخصائص الطبيعية، ما جاء عند القلقشندي من ذكر أنواع المحاصيل: "وأن لها من الحبوب القمح والشعير والحمص والفصول والعدس، والذرة فيها العنب والتين والرمان والسفرجل والتفاح والخوخ والمشمش والتوت والزيتون والليمون..."[2].

1-الطرق التجارية:

لقد سعت الدولة الحمادية لحماية الطرق والتجارة وتوفير كل ما تحتاجه القوافل هذا ما أدى إلى تنشيط الحركة التجارية بين مدن المغرب الأوسط ومع الخارج مما يجعل التجار ينتقلون بحرية تامة وهو ما ساعد على تفعيل حركة البيع والشراء وتبادل السلع[3].

فبجاية كان بها خمسة أسواق وهي سوق الصرف القيصرية، باب البحر، وسوق يقع قرب حومة المذبح، وبه كان القراصنة الحماديون يبيعون أسرهم[4].

كما كان هناك أسواق أخرى عبر مختلف المدن الحمادية "مثل المسيلة والجزائر بني مزغنة، حيث كانت تتوفر على طرق مواصلات متنوعة تساعد على إحداث تكامل اقتصادي

---

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 129.

[2]- القلقشندي، أبي العباس أحمد، الصبح الأعشى في كتابة الإنشاء، المطبعة الأميرية،القاهرة، 1915م، مج 2، ص ص 112-113.

[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 149.

[4]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 227.

داخلي للدولة[1]، وهي تتبادل فيما بينها مختلف المنتوجات، يقول ابن خلدون: "أن بجاية تجلب إليها من أقاليمها الزيت البالغ الجودة والقطران وأن مدينة الجزائر يتجهز بسمنها وعسلها إلى سائر البلاد وأن سمك المسيلة يصطاد منها ويحمل إلى قلعة بني حماد"[2].

ويذكر الإدريسي المسافة التي يقطعها المسافر الذي غادر العاصمة الحمادية ويقصد عدة مدن أو قرى، فقال: "من بجاية: إلى إيكجان يوم أو بعض يوم ومن مجانة إلى يلزمه يومان من بجاية إلى باغايا ثمانية أيام وبين بجاية والقصرين ستة أيام وبين بجاية ومبنة سبع مراحل"[3].

وقد ذكر الإدريسي أسماء بعض القرى في الطريق بين بجاية والقلعة وهي "الأحد وحصن تاكلات سوق الخميس وحصن بكر وحصن آخر آرفو وقصر بني تراكش وحصن تافلكات وقصر عطية"[4].

كما توجد طرق بحرية من بينها تلك المراسي المتواجدة على ساحل البحر التي كانت تحت نفوذ الحماديين كجيجل وجزائر بني مزغنة وبجاية وتنس وبونة وغيرها[5].

ويذكر البكري هذه المراسي فيبدأ بمرسى أسلن ومنه اتجاه الشرق الماء المدفون يليه مرسى عين خروج تفصله عن وهران 40 ميلا، ثم يليه مرسى قصر الفلوس، ثم مرسى مغيلة بني هاشم بينهما 35 ميلا، ثم مرسى تنس، ثم مرسى بجاية[6]، وهي مدينة آهله عامرة بسكان الأندلس تدخله السفن محملة ثم مرسى بونة، ثم مرسى الخرز وهو آخر المراسي الجزائر يأتي بعده مرسى طبرقة بتونس[7].

---

[1]– إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الأصالة،ع 19،20، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، عاصمة الثقافة الإسلامية، تلمسان،2011م، مج7، ص 332.

[2]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 289.

[3]– الإدريسي، المصدر السابق، ص 94.

[4]– المصدر نفسه، ص 95.

[5]– المصدر نفسه، ص ص 96.

[6]– أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 54.

[7]– صالح بن قربة، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، ص 266.

أما بالنسبة للطرق الخارجية فقد توفرت بلاد المغرب الأوسط على شبكة من الطرق البرية التي اتصلت ببلاد المشرق وبلاد السودان وطرق بحرية ربطته ببلاد الأندلس وبلاد الروم عن طريق الموانئ[1].

2-المبادلات التجارية:

لقد كانت الدولة الحمادية تصدر إلى أوروبا القطن الذي كانت زراعته منتشرة في مناطق عديدة كالمسيلة، وبسكرة ومستغانم المشهورة بجودة أنواع القطن، وكان يصدر إلى كل من فرنسا وإيطاليا والبندقية[2].

كما كانت تصدر ريش النعام، المرجان الذي يستخرج من تنس، ومرسى الخزر، بالإضافة إلى الخيول العربية والبربرية والجلود المصبوغة، وكذا المواد التي تستعمل في الدباغة مثل القشور البجائية[3].

فبجاية التي منحت اسمها الفرنسي لمادة الشمع Bougie كانت تصدر الزيوت التي كانت تمتعت بشهرة واسعة منذ العصور الوسطى، وكذا القمح والشعير، وغيرها من الحبوب وكذلك التمر، والفستق، والتين المجفف من أجود ما تنتجه إفريقيا الشمالية ويحمل إلى أوروبا[4].

كما كانت تصدر الفخار والزجاج والذي كانت صناعته مزدهرة في القلعة وبجاية إلى دول الشرق، بالإضافة إلى الرصاص والحديد، والنحاس المستخرج من جبل كتامة، والمرجان الذي كان يصل الفاطميين[5].

---

[1]- إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، ص 323.

[2]- إسماعيل العربي ، المرجع نفسه، ص 246.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 229.

[4]- إسماعيل العربي، العمران في الجزائر في عصر بني حماد، ص 249.

[5]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 150.

كما كانوا يتاجرون مع الزيريين فيبيعون لهم خشب غابات حبل الرحمن ناحية بونة، كما صدروا التمور والسلع الأخرى إلى السودان عن طريق ورقلة[1].

كما كانت الدولة الحمادية تستورد الأنواع المختلفة من الخشب، فالبندقية تعطيها مساحات شاسعة من الغابات، فكانت تمد دولة بني حماد بالخشب الخام والألواح والخشب المصنوع[2].

كما أن منظمة شمال إيطاليا كانت فيها صناعة الدروع والحراب والخوذات والسيوف مزدهرة مما أدى بالأمراء الحماديين باستوراد هذه الأسلحة وتجهيز جيوشهم[3].

كما استوردت الذهب من السودان عن طريق ورقلة، لكن هذا الطريق ضعفت وقلت الحركة التجارية فيه بعدما استولت الدولة المرابطية في غانا على منابع الذهب وسيطرت على طريقه[4].

إلى جانب المعادن التي كانت تستجلب من إيطاليا أسلاك الحديد، والأبواق النحاسية والأواني المصنوعة من مختلف المعادن، وكان الملوك الأثرياء يستوردون من أوروبا الأحجار الكريمة والياقوت[5].

كما استوردت من الهند العقاقير مثل جوز الطيب، القرنفل، والرواند والزنجبيل، وكذا الروائح العطرية والبخور مثل: اللبان، والعود، والجاوي والمسك والعنبر[6].

واستوردت من الصين القطع والأواني الخزفية والفخار المزخرف هذا ما دلت عليه الحفريات الأثرية[7].

---

[1]– عبد الحميد حاجيات وموسى لقبال وآخرون، المرجع السابق، ص 232.

[2]– الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 108.

[3]– إسماعيل العربي، العمران في الجزائر في عصر بني حماد، ص 245.

[4]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 15.

[5]– عبد الحميد حاجيات وموسى لقبال وآخرون، المرجع السابق، ص 133.

[6]– عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 297.

[7]– إسماعيل العربي، العمران في الجزائر في عصر بني حماد، ص 246.

وفي عهد الناصر بن علناس وأثناء مرحلة تجديده وتوسيعه لبجاية، جلب العمال ووسائل البناء من شتى أنحاء البلاد، وبعض الجمهوريات الإيطالية خاصة صقلية التي توفرت على الزئبق والحديد والرصاص، الأصباغ والديباج[1].

فالسلع الواردة برا وبحرا كانت تتوزعها جميع المدن الحمادية، وقد جلب المغرب الأوسط أنصار الرحالة العرب الذين تحدثوا عنه مثل المقديسي الذي قال: "هذا الإقليم به كثير، سر كثير المدن والقرى، عجيب الخصائص والرخاء به ثغور جليلة، وحصون كثيرة ورياض نزيهة"[2].

خلاصة:

وفي الأخير نستنتج من خلال هذا الفصل بأن الدولة الحمادية كانت مهدا حضاريا واقتصاديا،حيث سيطرت على الطرق البرية والبحرية في تجارتها،وبذلك أثرت في حواضر المغرب الإسلامي في شتى المجالات الفكرية والثقافية واهتمامها بالجانب العمراني بشتى أنواعه المدنية و الدينية والعسكرية، وخير دليل على ذلك قلعة بني حماد التي لا زالت آثارها إلى يومنا هذا، فكانت بذلك دولة يشهد لها التاريخ.

[1]– عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969م، ص 64.

[2]– أبو عبد الله شمس الدين مجد بن أبي بكر المقدسي البشاري، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، 1906م، ص 173.

خاتمـــة

ومن خلال دراستنا السابقة توصلنا إلى النتائج التالية:

- يعد كتاب "العبر" لصاحبة عبد الرحمن ابن خلدون مصدر لا يمكن لأي باحث أن يستغني عن الرجوع إليه، ولو فعل لجاء بحثه ناقصا ومعيبا لمّا لصاحبه من فضل الريادة والتقدم في الكتابة التاريخية، حيث ذكر لنا ما يتعلق بالحياة السياسية للدولة الحمادية التي أغفلتها باقي المصادر مثل: كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب، وكتاب البيان المغرب لابن عذارى المراكشي بطريقة مفصلة، إلا أنه أهمل جوانب أخرى كالجانب الاقتصادي والديني والعمراني.

- استطاع ملوك بني حماد أن يؤسسوا دولة مترامية الأطراف في المغرب الأوسط خلال فترة حكمها التي دامت 142 سنة، حيث كانت القوة والسير إلى الأمام وتحدي الصعاب من السمات التي توارثوها.

- ومن خلال أنظمة الدولة السياسي والإداري، جعلت الدولة الحمادية من نفسها كيان سياسي مستقل عن الدول الأخرى، فنظامها السياسي كان شبه استمرار لأنظمة الدولة التي سبقتها خاصة دولة الزيريين.

- أما فيما يخص النظام الإداري للدولة فلم يحمل نوعا من الإبداع والتغيير عن النظام الإداري للدولة الزيرية، ويتضح ذلك بشكل جلي في تقسيم الدولة إلى أقاليم، وضرب السكة الذي لم يكن هناك إلا في بعض التسميات تمثل ذكر اسم يحيى بن العزيز، وكانت الدولة ذات طابع عسكري أكثر لاعتمادها الكبير على قوتها الحربية.

- أما العلاقات الخارجية للدولة الحمادية نجد أغلب علاقاتها تمتاز بالتوتر والنزاع خاصة مع الدولة الزيرية والزناتية.

- وفيما يتعلق بالمذهب السائد في الدولة الحمادية نجد المذهب المالكي، بالإضافة إلى الفرق الدينية الأخرى، شيعيين، وسنيين وإباضيين، ومسيحيين ويهود.

- إن الخارطة السكانية لبلاد المغرب الأوسط لم تتغير كثيرا في عهد الدولة الحمادية، عما كانت عليه من قبل، إذ ظلت صنهاجة وزناتة أكثر العناصر حضورا.

- عرفت الدولة الحمادية الكثير من العادات والتقاليد والتي ما زالت معروفة إلى غاية يومنا هذا بين أوساط المجتمع الجزائري سواء ما تعلق بالمأكل أو الملبس أو الزواج، أو الاحتفالات.

- عرفت الدولة الحمادية نشاط علمي كبير شهدت خلاله لعلوم العقلية والنقلية، كما تنوعت أشكال العمارة الحمادية، فنجد أن الحماديين قد اهتموا بتشييد المنشآت الدينية كالمساجد، التي لم تخرج في تصميمها عن الطراز الذي بنيت، به المساجد الإسلامية، بالإضافة إلى العمارة المدنية كالقصور، التي تفنن أمراء بني حماد في بناءها، علاوة على المنازل التي روعي في تصميمها للمحافظة على الحرمات والأعراض وأسرار الأسرة، زيادة على المنشآت العسكرية والحربية من أسطول وقلاع وذلك ضمانا لأمن الدولة.

الملاحـــق

الملحق رقم 01: تصميم قلعة بني حماد

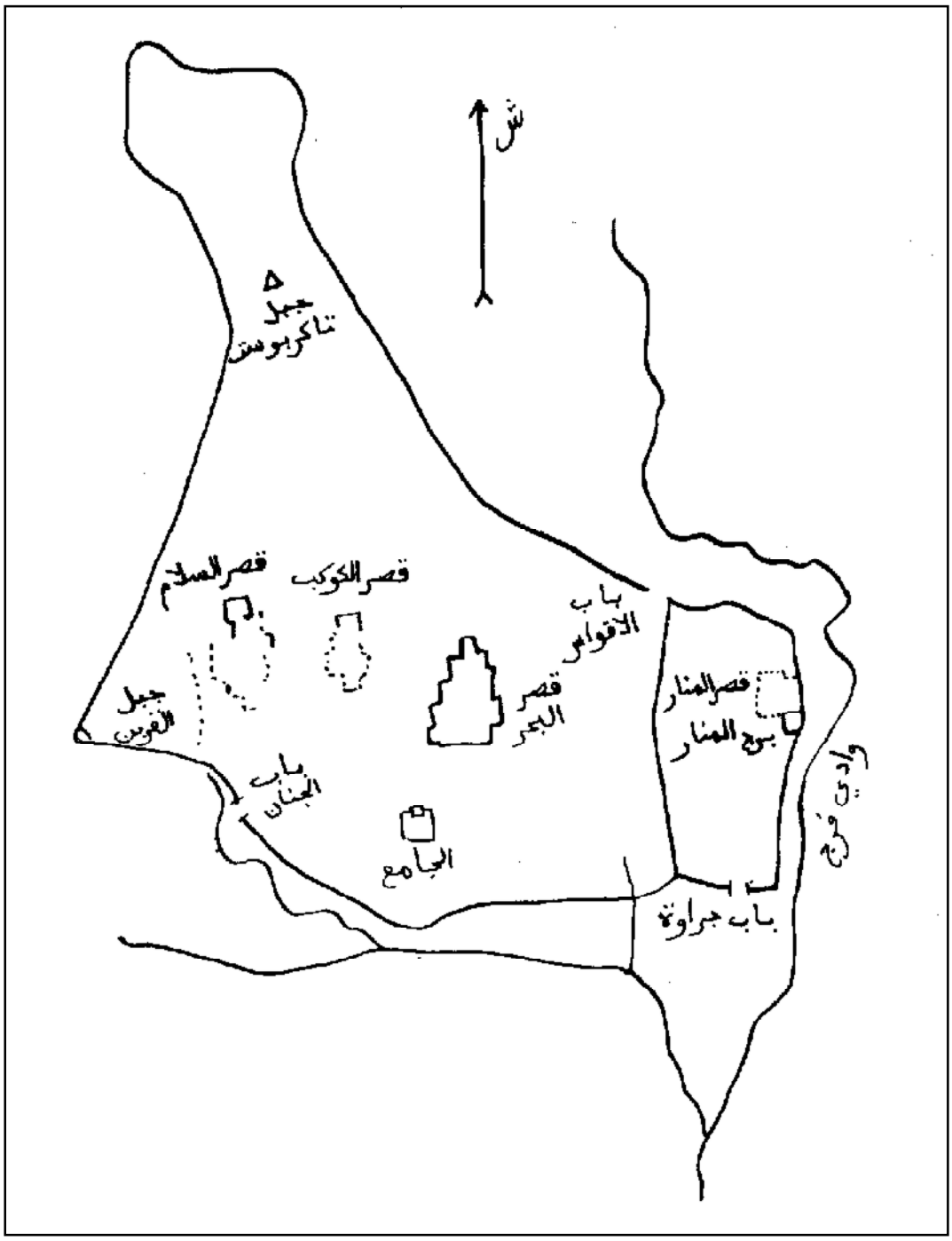

ينظر: رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 204.

الملحق رقم 02: قصر البحر

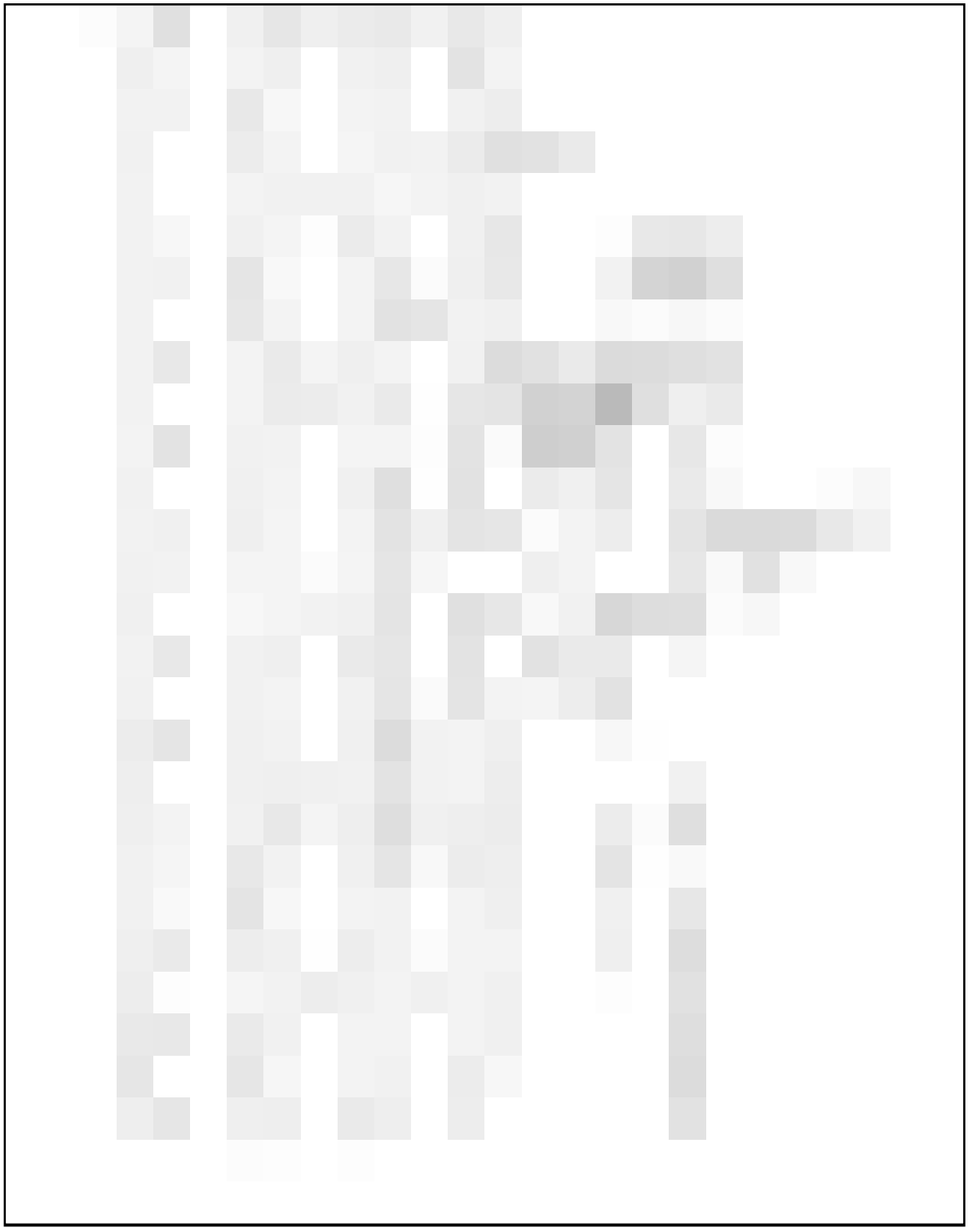

ينظر: رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 267

الملحق رقم 03: قصر السلام

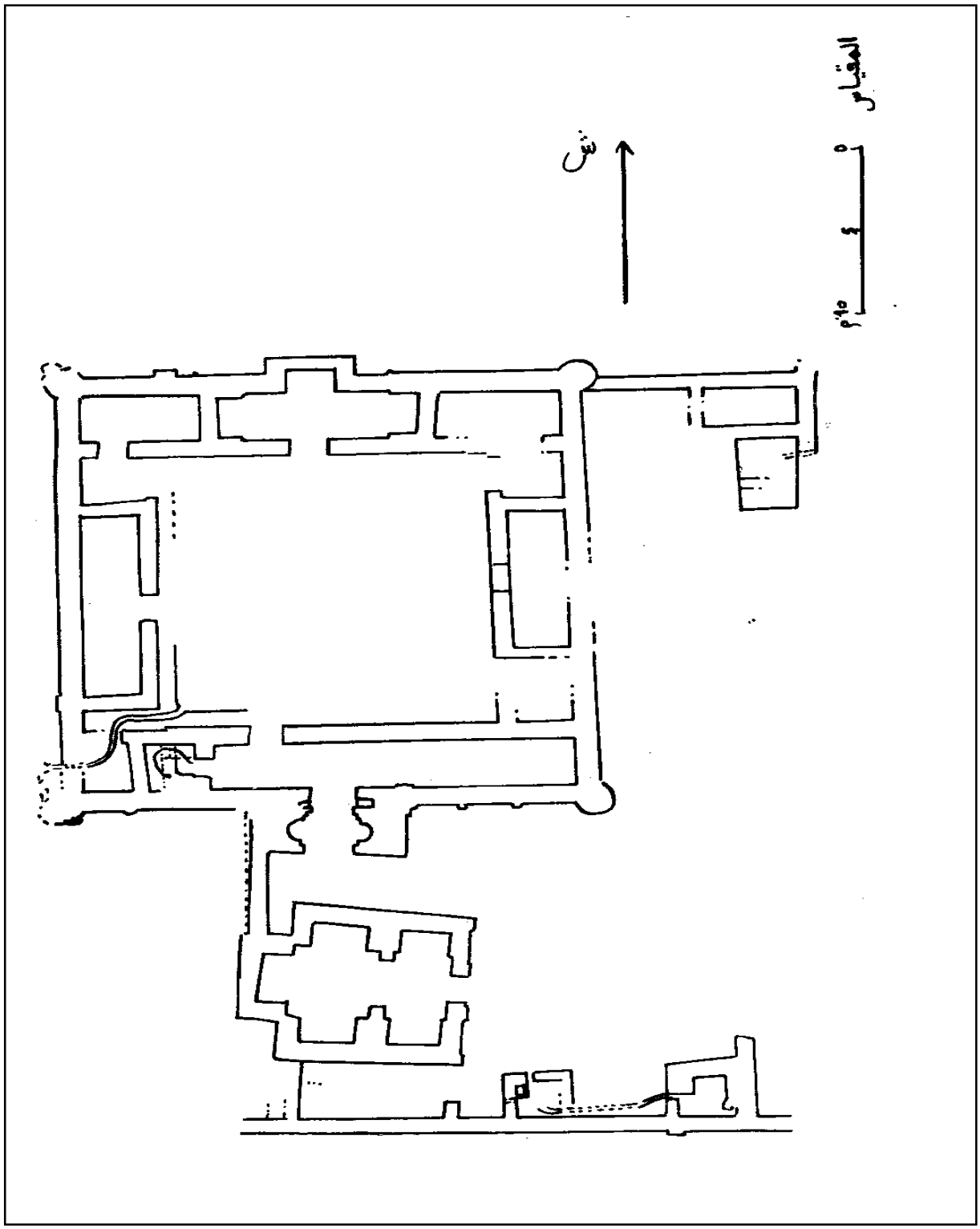

ينظر: رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 271.

الملحق رقم 04: الزخرفة الهندسية

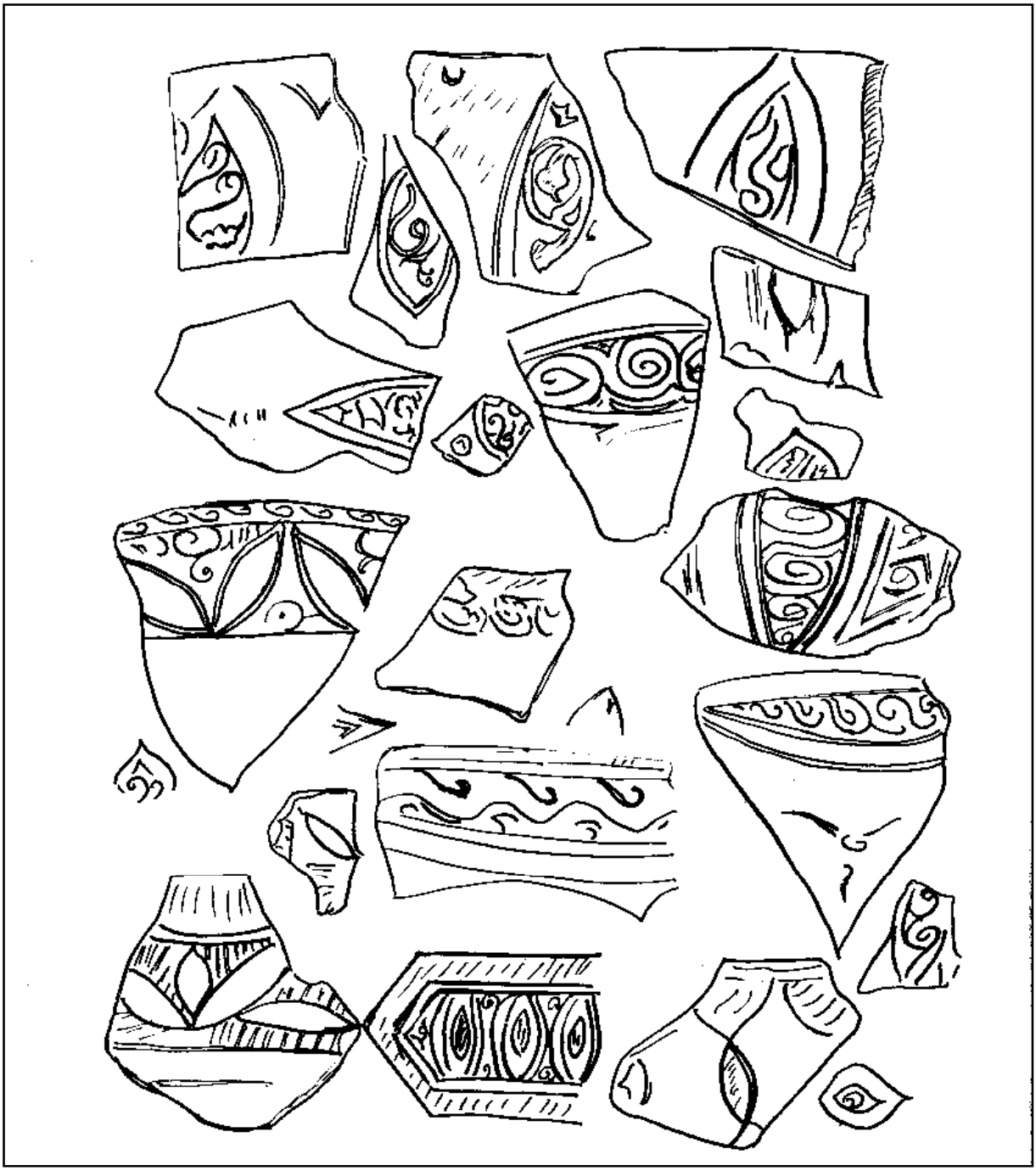

ينظر: رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 285.

الملحق رقم 05: تصنيف العلوم العقلية عند ابن خلدون

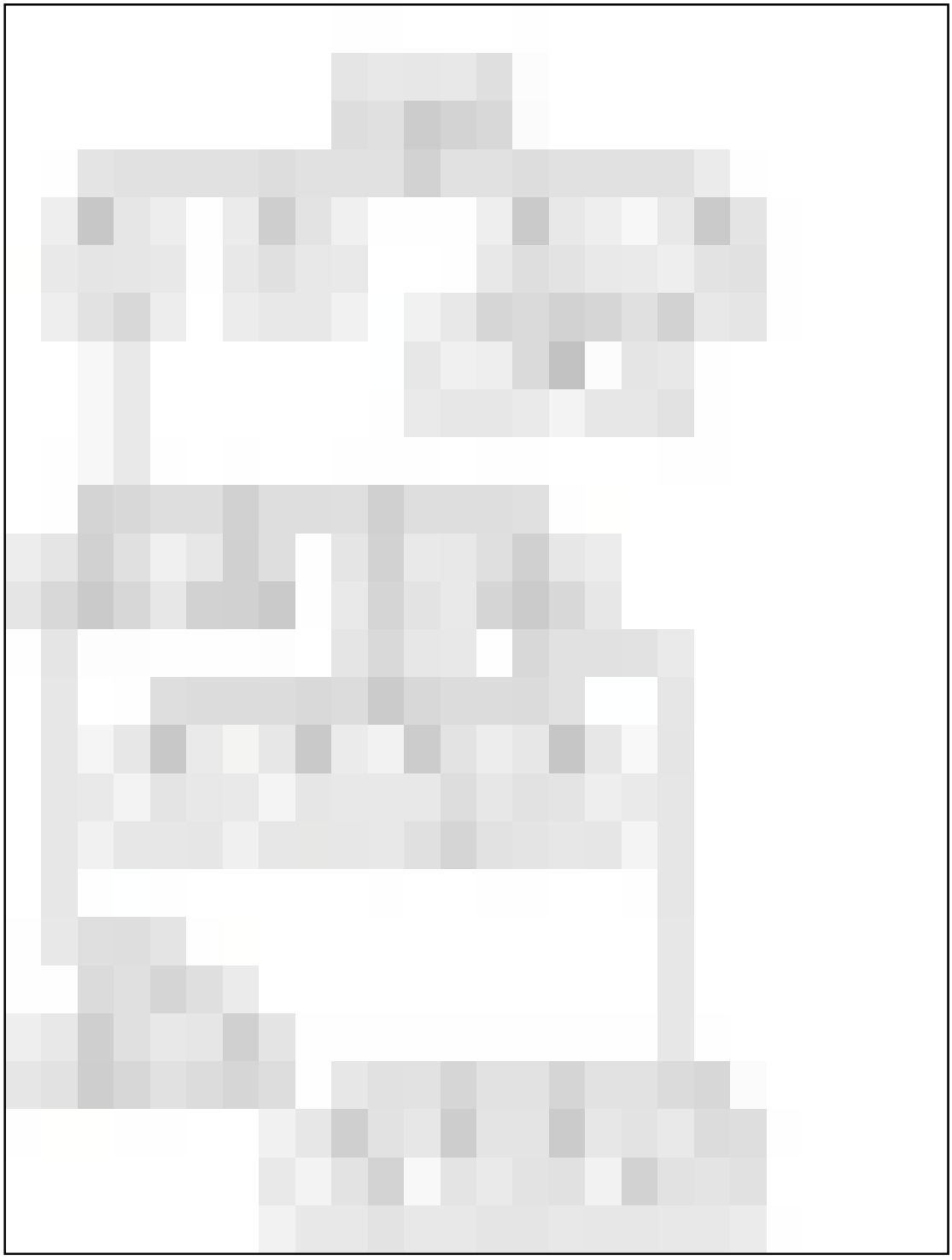

ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 250.

الملحق رقم 06: ملوك بني حماد

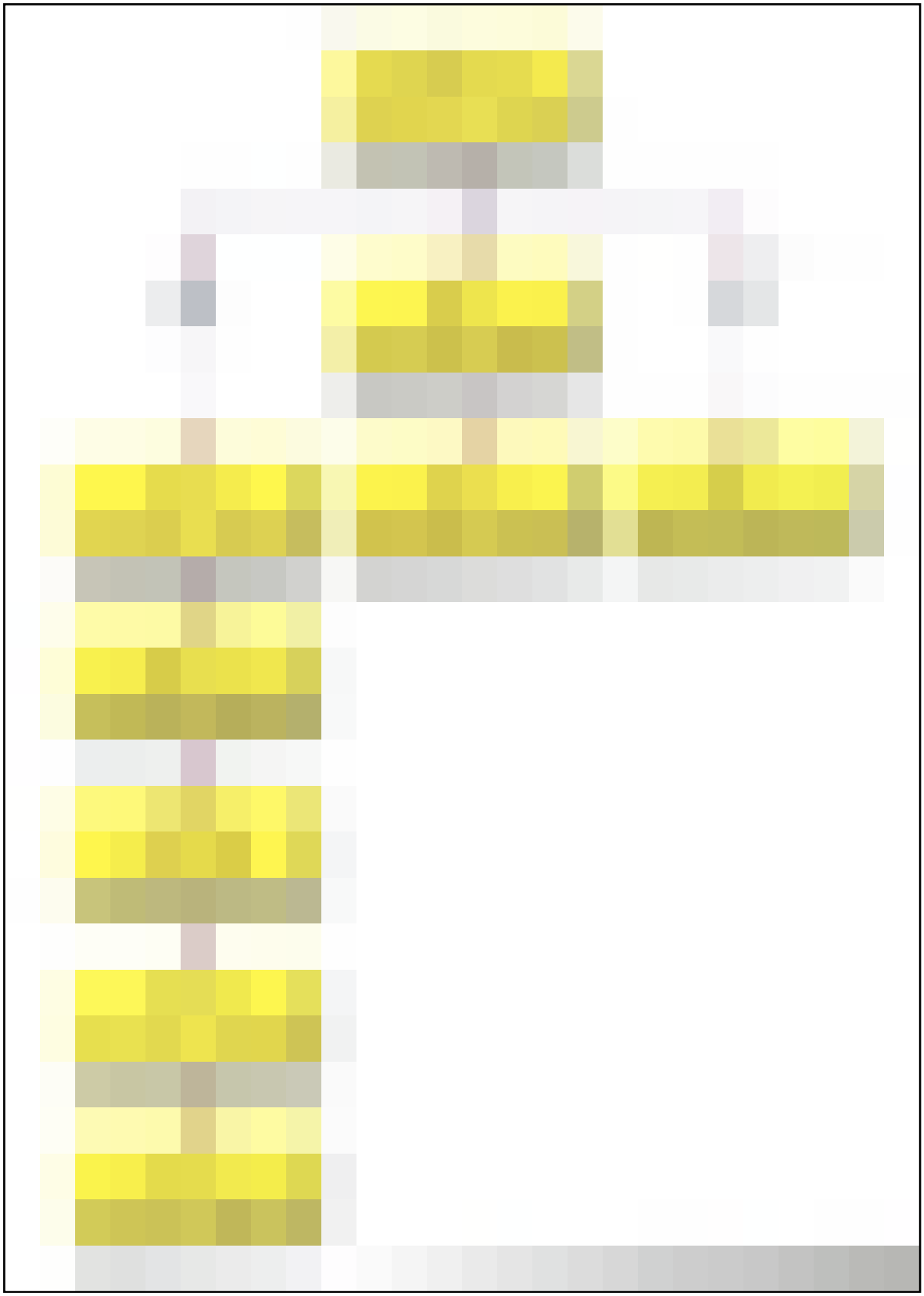

1. **ينظر: عادل أنور خضر، أطلس تاريخ الجزائر**، دار العزة ودار الكرامة، لبنان، الجزائر، ط1، 2013، ص 80.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

قائمة المصادر:

1. ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تونس، مطبعة الدولة التونسية، 1969م.
2. ابن الأثير أبو الحسن عبد الواحد الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.
3. الإشبيلي أبو النصر الفتح المعروف بابن حاقان، قائد العقبان ومحاسن الأعيان، تح: حسن يوسف، مكتبة الآبار، الأردن، ط1، 1989م.
4. البشاري أبو عبد الله شمس الدين مجد بن أبي بكر المقدسي ، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، 1906م.
5. البكري أبو عبيد الله ، المغرب في ذكر إفريقية "المسالك والممالك"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
6. ابن بشكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1،ط1.
7. الونشريسي ابو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع مع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إثراء محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، 1981م.
8. الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ج2، تر: عبد الرحمن حميدة، د ط، د ت.
9. ابن حزم أبو محمد علي بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تح: ليفي بروفينسال، دار المعارف، مصر، د ت.
10. الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.
11. الطبري أبو جعفر محمد بن حرير، تاريخ الرسل والملوك، ج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، د ت.
12. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ج5، دار صادر، بيرون، د ط، 1977م.

13. أبو المحاسن جمال، المنهل الصافي والمستوحي بعد الوافي، ج7، تح: محمد أمين، تق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د ت،.
14. المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 2005م.
15. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي، إتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، ج2، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، منشورات وزارة الأوقاف، ط2، 1996م.
16. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار لوصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تح: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د ط، د ت.
17. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تح: عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، لبنان.
18. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، دار الثقافة، لبنان، ط3،.
19. القزويني زكريا محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د ط، د ت.
20. ابن قطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبا الزمان، تح: محمود علي مكي، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م.
21. القلقشندي أبو العباس أحمد، الصبح الأعشى في كتابة الإنشاء، مج2، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1915م.
22. ـــــــــــــــــــ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1982م.
23. ـــــــــــــــــــ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت.
24. التبكتي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الله عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م.
25. ابن الخطيب لسان الدين السلماني، تاريخ لمغرب في العصور الوسطى أعمال الأعلام، دار الكتاب، دار البيضاء، 1964م.

26. ابن خلدون عبد الرحمن، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لبنان، د ط، 1979م.
27. ـــــــــــــــــــ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيوت، لبنان، ط1، ج6، ج7. 2010م.
28. ـــــــــــــــــــ، المقدمة، تح: محمد إسكندرية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 2006م.
29. الصنهاجي أبو عبد الله محمد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: جلول أحمد بدوي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1984م.
30. الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله أبي العباس، عنوان الدراية فمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.

المراجع باللغة العربية

1. أبو القاسم محمد ، العرب وابن خلدون، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1971م.
2. أبو رزاق أحمد بن محمد ، الأدب في عصر الدولة الحمادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1979م.
3. أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996م.
4. أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ج1.
5. ارشيبال لويس، القوة البحرية في حوض الأبيض المتوسط (500–1100)، تر: أحمد محمد عيسى ومحمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت.
6. باتسييفا سفيتلانا، العمران البشري في مقدمة ابن خلدون، تر: رضوان إبراهيم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1986م.

7. برتيان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1984م.
8. بن إبراهيم الطيب، ملك بن نبي وابن خلدون، دار المدني، الجزائر، د ط، 2002م.
9. بن ذيب عيسى وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال عصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، د ط، 2007م.
10. بن قربة صالح وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.
11. بن قربة صالح، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائرية، دط، 1986م.
12. بوتشيش إبراهيم القادري، الإسلام السري في المغرب العربي، ابن سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995م.
13. ـــــــــــــــــــ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998م.
14. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
15. بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1971م.
16. بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2009م.
17. بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، د ط، 1968م.
18. تشيكو آمنة، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وآرنولد تريمبي،المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، 1989م.
19. تواتي بومهلة، بجاية حضرة البحر ونادرة الدهر، دار المعرفة، الجزائر، د ط، 2010م.

20. جغلول عبد القادر، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون، تر: فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.

21. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات، الجزائر.

22. الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 1994م.

23. حاجيات عبد الحميد وموسى لقبال وآخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م.

24. حسن عبد الله نبيلة، ابن خلدون وتراثه التربوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

25. خالدي عبد الحميد، الوجود الهلالي في الجزائر، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007م.

26. خضر عادل أنور، أطلس تاريخ الجزائر، دار الشرق العربي، دار العزة ودار الكرامة، لبنان، الجزائر، ط1، 2013.

27. الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

28. درويش محمود، سهيل عثمان، من مقدمة ابن خلدون، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سوريا، 1978م.

29. رزق عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة المدبولي، ط1، 2000م.

30. الروجي إدريس الهادي، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر ميلادي، تر: محمد الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1992م،.

31. الزركلي خير الدين، قاموس الأعلام، ج2 ، ج4، ج5، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 2002م،.

32. زغلول سعد، تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيين إلى أقاليم المرابطين، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، القاهرة، د ط، د ت.

33. الزليطي حلولو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن، المسائل المختصرة من كتاب البرزلي، تح: أحمد محمد الخليفي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م.
34. الساحلي حمادي، تاريخ إفريقية في اعهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.
35. الساعاتي حسن، ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، دار السلام، بيروت، لبنان، د ط، 2004م.
36. سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي، ج2، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العبية، بيروت، 1981م.
37. سالم عبد العزيز وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969م.
38. السرجاني راغب، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2011م.
39. السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر، تاريخ السودان، د ن، باريس، د ط، 1981م.
40. شبلي أحمد، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1963م.
41. الشربامي أحمد، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، ط1، 1981م.
42. طمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2010م.
43. ــــــــــــ، الروابط الثقافية بين لجزائر والخارج، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2007م.
44. عاصي حسن، أعلام المؤرخين العرب والمسلمين، ابن خلدون مؤرخا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م.
45. العربي إسماعيل، المدن المغربية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1984م.
46. ــــــــــــ، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م.

47. عنان محمد عبد الله، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، د ت.

48. عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991م.

49. غرقوني حنان، تخطيط المدن (العمارة والزخرفة)، لبنان، مؤسسة مجد الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.

50. الغنيمي عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، مكتبة القاهرة، 1414هـ/1994م.

51. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د ط، د ت.

52. فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981م.

53. كحالة عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1997م، ج3.

54. كواتي مسعود، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة، الجزائر، 2009م.

55. محاسنة محمد ، الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن، دار المعرفة، ط1، 2009م.

56. محمود حسن أحمد ، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، 1957م.

57. مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3، الجزائر، دار الحكمة، د ط، 2007م.

58. مختار حساني وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 10هـ 16م، دار القصبة للنشر، الجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007م.

59. المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، د ط، 1980م.

60. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدي وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982م.

61. ممدوح حسن وشاكر مصطفى، الحرب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1998م.

62. منصور عبد الوهاب ، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

63. موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط21، 1981م.

64. مؤنس حسين ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس –قصر المرابطين والموحدين–، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.

65. ــــــــــــــ، المساجد، الكويت، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، 1981م.

66. الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تج وتص: محمد ميلي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، د ت.

67. الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ لجزائر في القديم والحديث، ج2، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ، د ط، د ت.

68. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1954م.

69. الوافي علي عبد الواحد، عبقريات ابن خلدون، شركة مكتبات عقاض للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 1984م.

70. يحيى بوعزيز، جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية، مجلة الأصالة، العدد 19، 1974م.

71. يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2004م.

الرسائل الجامعية

1. بندر العنزي، ابن خلدون ناقدا، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، مصر، 2011–2012م.

2. موسى هيصام، الجيش في العهد الحمادي (405-547هـ/1014-1152م)، رسالة لنيل ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000-2001م.

3. رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى الفاطميين إلى مصر (80هـ-362هـ)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م.

4. شارف محمود، التفكير العلمي الخلدوني، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة ورقلة، الجزائر، 2015- 2016م.

5. شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ667هـ/1129م-1268م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2008م

6. غماري أمال، عمرون فتيحة، البعد الحضاري في فكر ابن خلدون، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، الجزائر، 2013-2014م.

المجلات:

1. خالد بالعربي، "البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد"، مقال دورية كان التاريخية، الع:5، 2009م، من ص 27 إلى ص 29.

2. العربي إسماعيل، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الأصالة، مج7، العدد 20، 19، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، من ص 323 إلى ص 332.

المواقع الإلكترونية:

72. www.biographiesuniverelles.com
73. www.eschauss.com
74. www.eyyhistory.com

بسملة

التشكر

إهداء

مقدمة.....أ

لفصل التمهيدي: العلامة ابن خلدون وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تمهيد.....5

المبحث الأول: التعريف بالعلامة ابن خلدون 5

أولا: نسبه ونشأته 5

ثانيا: تعليمه وتكوينه 6

ثالثا: تدرجه في المناصب 7

رابعا: أهم مؤلفاته.....9

خامسا: تلاميذ ابن خلدون 10

سادسا: عصر ابن خلدون 12

المبحث الثاني: التعريف بكتاب ابن خلدون –العبر– وقيمته العلمية والتاريخية 14

أولا: اسم الكتاب.....14

ثانيا: تأليف الكتاب 14

ثالثا: الوصف الظاهري للكتاب 16

رابعا: مضمون الكتاب 17

خامسا: أهمية الكتاب 18

سادسا: آراء المفكرين والباحثين حول ابن خلدون:.....18

الفصل الأول: الواقع السياسي والمذهبي للدولة الحمادية

تمهيد 24
المبحث الأول: الواقع السياسي للدولة الحمادية 24
أولا: أوضاع المغرب الأوسط قبيل تأسيس الدولة الحمادية.....24
ثانيا: أمراء بني حماد: 28
ثالثا: النظم الإدارية للدولة الحمادية:.....38
المبحث الثاني: العلاقات السياسية للدولة الحمادية:.....48
أولا: العلاقات الحمادية الزناتية 48
ثانيا: العلاقات الحمادية الزيرية: 49
ثالثا: العلاقات الحمادية الفاطمية: 51
رابعا: العلاقات الحمادية المرابطية: 53
خامسا: العلاقات الحمادية مع الأندلس (ملوك الطوائف) 55
المبحث الثالث: الواقع المذهبي وسقوط الدولة الحمادية 58
أولا: الواقع المذهبي.....58
ثانيا: سقوط الدولة الحمادية: 59

الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للدولة الحمادية

تمهيد 65
المبحث الأول: الحياة الاجتماعية للدولة الحمادية 66
أولا: عناصر المجتمع.....66
ثانيا: طبقات المجتمع.....76
ثالثا: العادات والتقاليد.....80
المبحث الثاني الحياة الثقافية للدولة الحمادية 86

أولا: الجانب العلمي.....86
ثانيا: الجانب العمراني 91
المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية للدولة الحمادية 104
أولا: النشاط الزراعي 104
ثانيا: النشاط الصناعي 107
ثالثا: النشاط التجاري 110
خاتمة.....117
الملاحق 120
قائمة المصادر والمراجع.....127
فهرس المحتويات 137
الملخص

الملخص:

تعد دولة بني حماد من بين الدول التي شهدت تطورا حضاريا، بل إنها تعتبر محطة بارزة في تاريخ المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا، إذ شغلت دراسة هذه الدولة العديد من المفكرين والمؤرخين عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذو السلطان الأكبر، حيث يعتبر هذا الأخير مصدر لا يمكن لأي باحث أن يستغني عن الرجوع إليه، ولو فعل لجاء بحثه ناقصا أن يستغني عن الرجوع إليه، ولو فعل لجاء بحثه ناقصا ومعيبا لما صاحبه من فضل الريادة والتقدم في الكتابة التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الدولة الحمادية، ابن خلدون، حماد بن بلقين، كتاب "العبر"

Summary:

The state of Bani Hammad is among the countries that have witnessed a civilized development, but rather it is considered a prominent station in the history of the Islamic Maghreb in general and the Middle Maghreb in particular. The Berbers and their contemporaries are of the greatest authority, as the latter is a source that no researcher can dispense with referring to, and if he did, his research would have been incomplete and flawed because of the virtue of leadership and progress in historical writing.

Keywords: The Hammadid State, Ibn Khaldun, Hammad bin Balqin, the book "Lessons"